وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

رواية" ليلة هروب فجرة " لأحمد زغب
مقاربة أنثربولوجية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبتين : إشراف الأستاذ:

✍ ببوخة جهاد ✍ د. بن عمر كمال

✍ مصطفاوي أوريدة

الموسم الجامعي: 1440–1441هـ* 2019–2020 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي–

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

رواية " ليلة هروب فجرة " لأحمد زغب
مقاربة أنثربولوجية

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبتين : إشراف الأستاذ :

ببوخة جهاد د. بن عمر كمال

مصطفاوي أوريدة

الموسم الجامعي: 1440–1441هـ* 2019–2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ ﴾

الكهف: ٦٦

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعاننا على انجاز هذا البحث حمدا كثيرا و الصلاة والسلام على أفضل خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما. نشكر الله تعالى ونحمده أولا وأخيرا، و نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث وكان سندا لنا فكل التقدير والاحترام إلى أستاذنا الفاصل المشرف "بن عمر كمال" لما بذله من جهد مخلص معنا، و نشكر كل أساتذة و عمال قسم الأدب واللغة العربية كل باسمه و أخص بالذكر الأستاذ الفاضل "أحمد زغب". إلى كل الأساتذة الذين رافقونا طيلة المشوار الدراسي بالجامعة ولم يبخلوا علينا بتوجهاتهم و نصائحهم القيمة. إلى كل هؤلاء نقف وقفة إجلال و تقدير.

مقدمـــــــة

مقدمة

لقد استحقت الأنثروبولوجيا منذ وقفت على قدميها أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين كعلم له مناهجه ومصطلحاته ومفاهيمه أن تجذب اهتمام المثقفين والفلاسفة الذين يدافعون عن الإنسان البدائي هذا المخلوق الذي كرمه الله بأن جعله قادرا على تكييف واقعه بنفسه .

والأنثروبولوجيا من العلوم القليلة التي تجمع بين العلوم الطبيعية والإنسانية؛ فالإنسان جزء من الطبيعة، و نوع بيولوجي من أنواع المملكة الحيوانية، وتاريخ نموه وتطوره جزء هام من علوم التاريخ الطبيعية .

لكن الأنثروبولوجيا بمعناها الكامل ليست مجرد دراسة بيولوجية للإنسان؛ فهي تتناول دراسة الإنسان وكل أعماله ونتاجه المادي، و الفكري، والديني، و الفني، والعادات والنظم الاجتماعية. ومن ذلك الأعمال الأدبية من شعر و نثر كالرواية وخاصة تلك التي تتناول موضوع الفلكلور والثقافة الشعبية، حيث أن موضوعات الفلكلور يشكل كثير منها موضوعا مهما للعلم الأنثروبولوجي، وتعتبر مجالا خصبا للتحليل .

والمعروف أن الرواية العربية ازدهرت في جل الأقطاب العربية و تعددت مضامينها وتقنياتها ووصلت إلى مستوى عال في التقنية الروائية، واللغة حتى أصبحت تتنافس مع الشعر العربي من حيث دوره وقيمته في الحياة الأدبية. وتعددت الروايات دون أن تفقد طبيعتها كونها رواية تروم الغوص في الواقع العربي تصويرا و تحليلا حاملة أسئلتها على ما يجرى في الواقع من أحداث ووقائع، وفي المجتمع من سلوك ثقافي واجتماعي .

و لقد كانت التجربة الروائية "لأحمد زغب" ثرية حيث تم من خلالها إبراز إبداعاته الكتابية؛ فكان يستلهم أحداث وشخصيات عمله الروائي من واقع المجتمع السوفي متأثرا به كما يبرز ذلك في روايته "ليلة هروب فجره". وهذا ما دفعنا إلى أن نلجأ إليها للكشف عن

ثقافة المجتمع في الرواية، وعاداته، وتقاليده، و قيمه، وأعرافه، و إنتاجه المادي، والروحي، و الأخلاقي؛ فهي التي تشكل الإنسان على صورته .

و الأديب أحد أفراد و أبناء المجتمع الذي تشكله الثقافة وإن كان الأديب يتفرد عن غيره من أبناء المجتمع بإبداعه الأدبي .

أما عن أهم الأسباب الذاتية التي أدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع المعنون برواية " ليلة هروب فجره" ـ مقاربة أنثروبولوجية ـ فهو رغبتنا الشديدة في الاطلاع على العالم الروائي للكاتب "أحمد زغب" الذي يعتبر من أبرز الكتاب الجزائريين اهتماما بعلم الفلكلور، و الثقافة المحلية إلى جانب الإشادة بالثقافة المحلية .

أما الأسباب الموضوعية فتمثلت في عزوف أغلب الدارسين في الجامعات الجزائرية وجامعتنا عن التطرق إلي جانب التحليل الأنثروبولوجي للأدب بالرغم من أن له أهمية كبيرة في الحياة الثقافية و الاجتماعية .

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة في الرواية المذكورة البحث عن تجلي الظواهر الثقافية و الاجتماعية التي تعتبر محل اهتمام البحث الأنثروبولوجي. ولقد تفرعت عن هذه الإشكالية الجوهرية جملة من التساؤلات الجزئية على النحو الآتي:

- ما الأنثروبولوجيا؟ وما أهم فروعها ؟
- ما مفهوم الرواية ؟ وما أبرز أنواعها ؟
- ما علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب؟
- ما أهم مستويات التحليل الأنثروبولوجي ؟
- كيف تجلت الظواهر الأنثروبولوجية في الرواية ؟

و للإجابة على هذه التساؤلات شكلنا الخطة الآتية التي تمثلت في مقدمة و مدخل وفصلين. تطرقنا في المدخل إلى تحديد مصطلحات ومفاهيم متعلقة بالأنثروبولوجيا و مفهومها، وفروعها، وأهدافها، واتجاهاتها لنتعرف بعدها على مفهوم التحليل الأنثروبولوجي ومستوياته، لنستنبط علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب . ويأتي الفصل الأول بعنوان: فن الرواية ـ تحديدات نظرية ـ يتضمن كلا من المفهوم والنشأة والأنواع والعناصر .

وأما الفصل الثاني فكان العمل التطبيقي بعنوان: التحليل الانثروبولوجي للرواية. ولقد تضمن نبذة عن حياة الأديب، وملخصا للرواية، ثم قمنا بتحليل المستويات الثلاثة: الأثنوغرافي والأثنولوجي والأنثروبولوجي .

وأنهينا الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي وصل إليها البحث .

ومن الأهداف التي يقتضيها هذا البحث في موضوع دراساتنا :

- ✓ إثراء المكتبة الجامعية بعمل أكاديمي يستفيد منه الطلبة والمشرفون على مواضيع تتقاطع مع مواضيع بحثنا وذات صلة به .
- ✓ البحث في موضوع الأنثروبولوجيا الأدبية الذي يعتبر مهملا في الأبحاث الأكاديمية.

ولطبيعة الموضوع اعتمدنا على المنهج الأنثروبولوجي القائم على الوصف والتحليل، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي في بعض المواضع التي تقتضي ذلك.

واستندنا لإنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها :

- ✓ أحمد زغب: " ليلة هروب فجرة ".
- ✓ عز الدين دياب: " التحليل الأنثروبولوجي للأدب العربي" .

إضافة إلى عبد المالك مرتاض: " في نظرية الرّواية "، و سمير الفيصل : " الرواية العربية البناء والرؤية ".

وقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات نذكر منها :

- افتقار مكتبة جامعتنا لأهم المصادر والمراجع الخاصة بموضوع البحث.
- تداخل الأفكار التي تخص الموضوع وعمقه.
- الجائحة التي أصيب بها العالم كانت سببا في عدم ملاقاتنا لتنسيق أكثر فأكثر .

وبفضل الله سبحانه وتعالى، ودعم الأستاذ المشرف "كمال بن عمر " استطعنا التغلب على كل هذه الصعوبات، لنخرج بحثنا في هذه الحلة التي نتمنى من الله أن تنال قبولكم.

.

وأخيرا نعترف بالجميل و نتقدم بالشكر إلى كل من أعاننا في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل "كمال بن عمر" الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث، والذي منحنا شرف أن يكون الأستاذ المرافق لنا طيلة هذا المسار .

مدخـــــــل: تحديد المصطلحات والمفاهيم

أولا: الأنثربولوجيا

1 المفهوم

2. الفروع

3.الاهداف

4.الاتجاهات

ثانيا: التحليل الأنثربولوجي

1.مفهومه

2.مستوياته

ثالثا: علاقة الأنثربولوجيا بالأدب

أولا: الأنثربولوجيا

1.المفهوم

إنّ لفظة أنثروبولوجيا " Anthropology" هي كلمة إنجليزية مشتقّة من الأصل اليوناني من مفصلين : انثروبوس "Anthropos" تعني إنسانا، ولوجوس "Locos" تعني علما .وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللّفظ علم الإنسان أي العلم الذي يدرس الإنسان .[1]

ولذلك تعرّف الأنثروبولوجيا بأنّها : العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضويّ حيّ يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة و يقوم بأعمال معينة ... ويقوم بأعمال متعدّدة ويسلك سلوكا محدّدا وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية و الحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل و لذا يعتبر علم دراسة الإنسان الأنثروبولوجيا علما متطوّرا يدرس الإنسان و سلوكه و أعماله .[2]

وتعرّف الأنثروبولوجيا أيضا بأنّها علم الأناسة، وهي العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيوانيّ من جهة، ومن جهة أخرى أنّه الوحيد من الأنواع الحيوانيّة الأخرى التي تصنع الثّقافة و تبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا .[3]

كما تعرّف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة و شاملة بأنّها علم دراسة الإنسان طبيعيا و اجتماعيا و حضاريا أي أن الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن و حيد بذاته ،أو منعزل

---

[1] –حسين فهميم، قصة الأنتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان ، عالم المعرفة الكويت 1986، ص98 .

[2] سليم شاعر, قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت 1988 ص102

[3] محمد إسماعيل قياري، الأنتروبولوجيا الثقافة، منشأة المعارف الإسكندرية 1971 ص12.

عن أبناء جنسه إنّما تدرسه بوصفه كائنا اجتماعيا بطبعه يحيا في مجتمع معيّن له مميزاته الخاصّة في مكان و زمان معينين [1]

فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة البيوفيزيائية و الاجتماعية و الثقافية فهي علم شامل يجمع بين ميادين و مجالات متباينة و مختلفة بعضها عن بعض اختلاف علم التشريح عن تاريخ تطور الجنس البشريّ، و الجماعات العرقية، و كذلك عن الإبداع الإنسانيّ في مجالات الثقافة المتنوعة التي تشمل :

التراث الفكريّ، و أنماط القيم ،و الإبداع الأدبيّ و الفكريّ ،بل و العادات و التقاليد و مظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة وإن كانت تعطي عناية خاصّة للمجتمعات التقليديّة وهذا يتوافق مع تعريف تايلور الذي يرى أن الأنثروبولوجيا هي الدراسة البيوثقافيّة المقارنة للإنسان وما يتلقّاه من تعليم، و تنشئة اجتماعية و بهذا المعنى تتناول الأنثروبولوجيا مواضيع مختلفة من العلوم و التخصصات التي تتعلق بالإنسان.[4]

و الملاحظ من تعريف تايلور و التعريفات السّابق ذكرها للأنثروبولوجيا هي أنّها العلم الذي يدرس الإنسان و يدرس أوجه الشبه، و أوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الأخرى من جهة و بينه و بين أخيه الإنسان من جهة أخرى و في الوقت ذاته يدرس السلوك الإنسانيّ ضمن الإطار الثقافيّ و الاجتماعيّ بوجه عام فهي تهتمّ بالإنسان الذي يعيش في جماعات و أجناس، وتدرس النّاس في أحداثهم_،و أفعالهم الحياتيّة .

[1] محمد اسماعيل قياري، الأتروبولوجيا الثقافة، ص13

2. الفروع

تتعدد فروع الأنثروبولوجيا بتعدد جوانب الإنسان، فهناك الأنثروبولوجي المتخصّص في البيولوجيا البشريّة، وآخر متخصّص في عظام الحفريّات، و ثالث متخصّص في علم الآثار حيث ينقّب في المجتمعات القديمة، ورابع في علم اللغويات ويقوم بتحليل : بنية اللغة، وخامس عامل فلكلور يدرس البيثولوجيا ، وسادس متخصّص في القرابة و الزواج، و سابع خبير في المزارع .[1]

وكل منهم يمكن أن يكون حاملا على درجة دكتوراه في الأنثروبولوجيا ..

ومن هنا نجد أن تنوّع المجالات داخل و فروعها تختلف من عالم إلى آخر وهي حسب الجامعات الأمريكية تنقسم إلى أربعة مجالات وهي :

– الأنثروبولوجيا الثقافية، و علم الآثار الأركيولوجيا، و اللغويات الأنثروبولوجيّة، و الأنثروبولوجيا الفيزيقيّة و فيما يلي سنوضّح فروع الأنثروبولوجيا العامّة وهي كما يلي :

أ. **الأنثروبولوجيا الفيزيقيّة** : عموما هي تدرس السّمات الفيزيقيّة للإنسان أي من حيث هو كائن فيزيقيّ طبيعيّ، فتدرس الإنسان العضويّ في نشأته الأولى وفي تطوّره حتى اكتسب الصّفات و الخصائص الإنسانيّة في صورة الإنسان العاقل و لذلك فهي تعالج مختلف السّمات الفيزيقيّة مثل حجم الجمجمة ، و ارتفاع القامة ولون البَشَرة و نوع الشّعر و شكل الأنف [2].ولون العينين كما تتصل الأنثروبولوجيا الفيزيقيّة بدراسة التغيرات العضويّة و

[1] يحي مرسي و عبد بدر أصول، علم الإنسان، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2007م، ط1.ص32

[2] سامية محمد جابر، منهجيات البحث الاجتماعي ،دار المعرفة الجامعية ، مصر 2013.ص17.

خصائص الأجناس و انتقال السّمات الفيزيقيّة و تتبع المورّثات الإنسانيّة و كذلك تطور الإنسان منذ مراحله و أشكاله التطوريّة [1].

ب. **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** : تدرس السلوكيات الاجتماعية كالعائلة و نسق القرابة، و التنظيم السياسي ،و الإجراءات القانونيّة ،و العبادات الدينية و غيرها . كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية التي لا يوجد لدينا معلومات عنها و الجدير بالذكر أن نفس المعلومات التي تدور حول العادات التي تمارسها أحد الشعوب تصبح حين تبيّن على خارطة التوزيع ذات أهمية خاصة لعالم الأنثروبولوجيا لأنّه يستدل منها على تحرك السلالات، والأجناس، و هجرة الثقافة أو اتصال تلك الشعوب بعضها البعض في الماضي أمّا الأنثروبولوجي الاجتماعي فإنّه يهتم بهذه العادات على أنّها جزء من الحياة الاجتماعيّة (المعاصرة) أو ما يعرف باسم الاتجاه البنائي الوظيفي وهو يتوفر على دراسة أنماط السلوك الذي يقوم بها البشر في دائرة اجتماعية معينة، هذه الأنماط لسلوكية التي تشكل شبكة البناء الاجتماعي و التي يتفق العلماء على تعريفها بأنها تلك الشبكة المعقدة من العلاقات التي تربط الأفراد و الزمر الاجتماعية و تأخذ [2]. شكل النظم و النسان الاجتماعية و تتميز بالثبات و الاستمرار عبر الزمن[3].

ج.**الأنثروبولوجيا الثقافية** :وهي تلك الذرع الذي يعنى بدراسة السلوك الإنساني في ماضية و حاضره و الثقافية تشمل قواعد العرف و العادات و التقاليد و المعتقدات و الممارسات و غيرها و تعتبر هي الوسيلة التي تمكّنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته المحلية ،أو

[1] سامية محمد جابر ،منهجيات البحث الاجتماعي، ص17

[2] نفسه ، ص18-19

[3] نفسه ص19

الجماعات الأخرى المحيطة به لها من خصائص اجتماعية في بيتها الطبيعية التباينة و لذلك كان أحد أهداف الأنثروبولوجية دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافي بالإضافة إلى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات و أصولها، و نموها ،و تطورها، و يمكن القول بصفة عامة أن الثقافة هي كل ما لا يولد به البشر، و من ثمّ فهي تشمل مخترعات الإنسان و نتاجه سواء كان ماديا أو غير مادي و الأنثروبولوجيا الثقافية تغطي مجالا واسعا من المعرفة الإنسانية و لذلك فهي تنقسم إلى أربعة فروع رئيسة وهي : الإنترغرافيا " Ethnogtaphy" والأثنولوجيا" Ethnology "الأركيولوجيا " Archaeology "و اللغويات "Lihguistics"[1].

3. الأهداف

استنادا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا فإنّ دراستها تحقق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في الأمور التالية :

*وصف مظاهر الحياة البشريّة و الحضاريّة و صفا دقيقا وذلك عن طريق معايشة الباحث لمجموعة أو الجماعة المدروسة و تسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليومية .

*تصنيف مظاهر الحياة البشريّة و الحضاريّة بعد دراستها دراسة واقعيّة وذلك للوصول إلى أنماط إنسانيّة_عامة في سياق الترتيب التطوريّ الحضاريّ العام للإنسان : (بدائي – زراعي – صناعي– معرفي –تكنولوجي) .

*تحديد أصول التغيير الذي يحدث للإنسان و أسباب هذا التغيير و عملياته بدقة علميّة و ذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني و أسباب رفضه بالحاضر ومن خلال المقارنة و إيجاد عناصر التغيير المختلفة .

[1] سامية محمد جابر، منهجيات البحث الاجتماعي ،ص.20

*استنتاج المؤشّرات و التوقّعات لاتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها و بالتصور وبالتالي إمكانية التنبوء بمستقبل الجماعة البشريّة التي أجريت عليها الدراسة [1].

إن اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانيّة كلّها و على المستويات [2] الحضارية كافّة يعتبر منطلقا أساسيا في فلسفة علم الأنثروبولوجيا ،و أهدافها، و لكن على الرغم من التوسع في مجال الدراسات الأنثروبولوجية فمازالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا ولاسيما وصف الثقافات و أسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات و اللهجات المحليّة و أثارها ما قبل التاريخ تؤكّد ولاشكّ تفرد مجال الأنثروبولوجيا عما عداها من العلوم الأخرى ولاسيما علم الاجتماع [3].

ومن هنا كانت أهمية الدراسات الأنثروبولوجيّة في تحديد صفات الكائنات البشريّة و إيجاد القواسم المشتركة فيما بينها بعيدا عن التعصب، و الأحكام المسبقة التي لا تستندا إلى أي أصول علميّة [4].

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا بدراسة المختلفة قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصّة بنشأة الإنسان و طبيعته ،و مراحل تطوّره الثقافيّ و الحضاريّ فإنّ أهم ما يثبت هذا العلم أنّ الشعوب البشريّة بأجناسها المتعدّدة تتشابه إلى حدّ التطابق في طبيعتها الأساسيّة ولا سيما في النواحي العضويّة و الحيويّة .

[1] عيسى السماش ،مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، اتحاد كتاب العرب دمشق، 2004ص16-17

[2] حمتين فهيم، قصة الأنتروبولوجيا، ص 89.

[3] نفسه، ص 99.

[4] احمد أبو هلال، مقدسة في الأنتروبولوجيا التربوية، المطابع التعاونية، الاردن، 1974، ص 78 .

4.الاتجاهات:

إنّ الاتجاهات إلى المناهج تحدّد للباحث الإجراءات المنهجيّة المطلوبة للقيام بمهام التحليل و على وجه الخصوص من أين يبدأ التحليل و أين ينتهي فالباحث الذي يعتمد الاتجاه الوصفيّ التحليليّ للنصّ الأدبيّ على سبيل المثال يختلف في توجهات ومراميه و إجراءات على الباحث الوظيفي والتاريخي و المقارن و النفسيّ ...الخ.

كما يختلف في استخلاص النتائج و الأغراض التي أجريت من أجلها الدراسة في مهمتها التحليلية و هذا التوضيح ينزع نزعة التكرار و فيه منفعة بحثية إجرائية و فيه أيضا عون للقارئ و هو يستوضح مهام وغايات هذا التحليل و تشكلت اتجاهات الأنثروبولوجيا و تطورات بفعل الصراع و الطور و الاختلاف بين علماء الأنثروبولوجيا و الاتجاهات التي يميلون إليها ويأخذونا بها في تحليلهم و تفسيرهم.

أهم هذه الاتجاهات :

1- **الاتجاه الوظيفي** : وهو من الاتجاهات الشائعة من قبل علماء الأنثروبولوجيا و خاصّة في الولايات المتّحدة الأمريكية و يوظف عادة في الدراسات الصقلية أو التطبيقية_و يعود الاتجاه الوظيفي في نشأته إلى الفكر الاجتماعي الأوروبي و خاصّة "دور محايم"و تلاميذته في فرنسا و أشهر هذه الاتجاهات عدة دراسات التي قام بها كلا من "مالينوفكس "و "ايفاتر بريتشارد" وما أحرزاه من نتائج قيّمة في وضع المعاني للظواهر الموجودة، و المدروسة من قبلها كل[1].في ميدان حلقة : التروبايوند و الأندمان قام "براون "بدراسة مجتمع الإندمان دراسة قائمة على المعايشة، و الملاحظة بالمشاهدة و قد لاحظ أنّ الشعائر الدينيّة وما يرافقها من طقوس و أنشطة اجتماعية تقوّي الوحدة الاجتماعية بين السّكان و تؤدي إلى ما يعرف

[1] عز الدين دياب، التحليل الأنثروبولوجي للأدب العربي، الرواية السورية، أنموذجا، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق،2010،،ص48 .

بالاستقرار الاجتماعي النسبيّ و استمرار مجتمع الإندمان كما أنّ الشعائر الدينيّة تشكّل فرصا اجتماعية للأفراد، و الجماعات لممارسة وإبراز مشاعرهم ،و عواطفهم في ما يطلق عليه التعبير الجماعي حيث يدخل هذا النّشاط في عملية التماسك الاجتماعي داخل هذا المجتمع و تقتصر ملاحظات "راد كليف براون "على وظيفة الشعائر الدينية في تماسك المجتمع ،و استمراره و إنّما سلّط الأضواء على الوظائف التي تؤديها هذه الشعائر في الخِطبة ، و الأعراس، و الاقتصاد، و الصّيد البحريّ حيث لاحظ وجود هذه الشعائر بقوّة في السّلوك الاجتماعيّ الحيائي لسكّان جزر الأندمان[1].

وهذا معناه أنّ فكرة الوظيفية عند"براون" ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة البناء على اعتبار البناء هو مجموعة العلاقات المنظمة التي تقوم بها الوحدات المكوّنة له ،و أنّ عملية الحياة التي تتألف من النشاطات التي تقوم بها هذه الوحدات هي نفسها التي تكفل استمرار البناء داخل المجتمع خلال الزمن .

أما "مالينوفيسكي" فإنّه خلال دراسته لجزر التروبابون اكتشف بأنّ هناك نظاما اجتماعيا يسمى بنظام "الكولا" و هو نظام التبادل يقوم بوظيفة ربط مجموعة. [2]الجزر في سلسلة من عمليات التبادل و كيف كانت هذه الرحلات تحاط باعتقالات و شعائر تكسبها مزيدا من الأهمية على الرغم من أن السلع المتبادلة كانت عبارة عن عقود و أساور من الأصداف الحمراء، و البيضاء و هذا يوضح أنّ مجتمع التروبايون محاط بنظام معقد و كبير هو نظام الكولا و هو يؤدي وظيفة الرّبط و التوثيق بين مجموعة كبيرة من القبائل [3].

[1] عز الدين دياب، التحليل الأنثروبولوجي للأدب، ص 52-53

[2] جمال معتوق، الأنثروبولوجيا الفروع و المداخل النظرية ،دار كتاب الحديث القاهرة ط206.

[3] احمد أبو زيد، البناء الاجتماعي مدخل الدراسة المجتمع الفحوصات ت.ط5 1976 ص92.

و الملاحظ هنا أنّ الاتجاه الوظيفي يؤكّد على أهمية الدراسة الحقلية و التي تقوم على الملاحظة المباشرة و المعايشة مع الناس أو المجتمع الدروس لأنّها و حدها الكفيلة بتمكين الباحث من معرفة المجتمع المدروس من قبله معرفة دقيقة و سليمة و ذلك بوضع المعاني الصّحيحة على الوظائف التي تمارسها العناصر الثقافية البسيطة والمعقّدة أو المركّبة في نسقها الجزئيّ و الكليّ .

الاتجاه المقارن:

إنّ الموضوع الأساسي للمنهج المقارن هو البناء الاجتماعيّ شأنه في ذلك شأن باقي المناهج الأنثروبولوجيّة الأخرى ،و لذلك يعدّ هذا الاتجاه من الاتجاهات الرسميّة و هو شائع الاستعمال أيضا في الدّراسات الأنثروبولوجيّة، و كان له حظ الأسبقيّة في تكوين الدّراسات الحقليّة و النظريّة عن باقي الاتجاهات و تتحدّد مهمته الأولى في إجراء ممارسات مقارنة بين المجتمعات في أنحاء مختلفة من معالم و يعتمد [1] هذا الاتجاه اعتمادا واضحا على الاستبيانات و الاستثمارات و الإحصاء في إجراء المقارنة المطلوبة حول الموضوع المدروس من قبله بقصد الوصول إلى النتائج التي يسعي إليها .

يهدف الاتجاه المقارن من خلال المقارنة بين المجتمعات إلى اكتشاف التطوّر التاريخيّ للعناصر الثقافية، و البني الاجتماعية ،و استنباط ،واستنتاج الملامح المشتركة بين عدد من الوحدات الاجتماعية وهناك من علماء الانثروبولوجيا ممن مكان يسعى من خلال هذا الاتجاه إلى اكتشاف القوانين التي تحكم حركة نشوء الظواهر البنائيّة وآلية تطورها ،ومن ثمّ وضع المعاني الحقيقيّة للظواهر كما فعل *إيفانريريئشارد* عندما قال بأن الوجهاء

[1] عز الدين دياب، التحليل الأنثروبولوجي للأدب، ص51.

في مجتمع "النوير" يمارسون دورا سياسيا خلال وجودهم على رأس بنيات ووحدات مجتمع النوير بدءًا بالأسرة و مرورا بالعائلة و الفخذ و البطن وصولا للعشيرة و القبيلة [1].

و الملاحظ من خلال ما سبق أنّ الدراسات الأنثروبولوجية المقارنة هي منهجية فعّالة لاستخلاص أهم النباتات بين المجتمعات و خاصّة تلك المجتمعات المتساوية في البناء الاجتماعي لأن الاختلاف في الثقافة يكون أوضح و النتائج المتوصل إليها غالبا ما تكون أكثر دقّة نظرا لمصداقية المنهجية .

[1] نفسه ص52

ثانيا: التحليل الأنثربولوجي:

1.مفهومه

هو ذلك المنهج الذي يسعى لدراسة مجرى التطور الإنساني في الناحيتين البيولوجية والثقافية، والقوانين والمبادئ التي تحكم هذا التطور والارتباطات التي بين الجوانب الطبيعية المختلفة للإنسان، وهو منها فالدراسة الإنسان ولا يعني بدراسته من ناحية واحدة إنما يحيط بكل خصائصه ومقوماته البيولوجية والاجتماعية،يسمح هذا المنهج في التحليل من خلال ما يتصف به من طريقة علمية القيام بتحليل يغطي بشكل كامل الموضوع المدروس باختلاف الطرق والأدوات المستعملة.[1]

يقوم هذا النوع من التحليل على وضع المعاني على الظواهر التي يدرسها تمهيدا لنقدها، حيث يقوم عند تطبيقه على النصوص الأدبية والرواية على وجه التحديد باستخراج المفاهيم والقيم الخاصة بتلك الظواهر في مستويات التعبير التي تفرد المفردات والكلمات سياق الربط الدقيق بين الظاهرة والتغييرات التي تجري في البناء الاجتماعي وظهور فئات اجتماعية وأشكال تعبيرهاعن عقيدتها وفكرها ومصالحها وطموحاتها السياسية والاقتصادية[2]والاجتماعية،ويعتمد هذا المنهج في التحليل على ثلاث مستويات هي:

[1] سهام بدروعة، محاضرات في التحليل الأنثربولوجي للأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة 8ماي1954، قالمة، 2018، ص85.

[2] ينظر: عز الدين دياب، التحليل الأنثربولوجي للأدب...،ص43.

2.مستوياته

أ. **المستوى الإثنوغرافي:** وفيه وصف مظاهر الحياة وصفا دقيقا مثل التعرف على الجانب الاجتماعي للأسرة والعلاقات العامة القرابة مصادر العيش التقليدية والحديثة، النظام الأسري، الممارسات الطقوسية، مثل طقوس العبور، والمعتقدات الشعبية.[1]

ب.الإتنولوجي: وفيه استنباط تقسيمات من أصول الثقافات، وانتشارها وخصائصها النوعية والثقافات المهنية والثقافات الشعبية، الثقافة العصرية الصناعات والزراعة، وأنماط السلوكات العصرية.[2]

ج.المستوى الأنثربولوجي: وفيه مجموع العلامات الأنثروبولوجية وما يشترك فيها الإنسان عامة مثل، فكرة المقدس والمدنس، حفظ الذات (الغذاء والتأمين، الكهوف المعارك) حفظ النوع(الزواج،الإنجاب) لبقاء النسل مستمرا.[3]

ثالثا:علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب :

إنّ العلاقة بين التحليل الأنثروبولوجي و العلوم الاجتماعيّة عامّة هو في حقيقته تطور لاستقلال و انفصال الأنثروبولوجيا عن العلم الاجتماعيّ على المستوى النظري ،و الدراسات الحقليّة التطبيقيّة ،وهو خلاصة التطوّر في المناهج والنظريات الاجتماعيّة و خاصّة عند ولادة علم اجتماع جديد هو علم اجتماع الأدب وسيسيولوجيا الأدب و الذي تأثر كثيرا بنظريات الأدب وامتزج فيها بمناهج علم الاجتماع .

[1] ينظر: أحمد زغب، مبادئ الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر،2012، ص46.

2 نفسه،ص47

3 نفسه،ص48.

يرى الدكتور صلاح فضل أنّ التلازم بين البنية الاجتماعية من ناحية و الأدب من ناحية أخرى كان لها دورها في تعزيز الصلات بين علم التحليل الأنثروبولوجي للأدب، و يرى أيضا أنّ هذا التوافق هذا كما تمثل كثيرا في عبارات "شدانوف " الذي يقول:"لا بد من دراسة الأدب في علاقته التي لا تنفصم عن الحياة الاجتماعية من ناحية البني السفلي التي تشكلها العوامل التاريخية الاجتماعية ذات التأثير الحاسم في الكاتب."[1].

كما أنّ الأنثروبولوجيا من بين العلوم القادرة على مواكبة الفطور الذي أفرزته علوم الإنسان في مختلف ميادينها دون أن تنقطع الصّلة معها بل إنّها تتقاطع مع منجزات هذه العلوم في عملية تفاعلية تكاملية دائمة على الرغم مما قدمته من أبحاث في مجال هذا العلم فإن كثيرا من نتائجه مازالت تثير جدلا لم ينتبه بتعلق بانتسابها إلى هذا الفرع من فروع علم الإنسان أو إلى غيره شكل الانتقال بالأنثروبولوجيا من ميدان آخر بعض اللبس في تحفيظ مجالاتها. [2]

ويختار التحليل منهجه الذي يتوافق و يتواكب مع النص المدروس سواء كان النّص الأدبي شعرا أو نثرا فالمطلوب أن تتوفر فيه المقدرة على التحليل، و التفسير هذا وسواء كان على مستوى مضمونها و مفاهيمها ، و الظواهر و الوقائع التي تعالجها مراعيا نسبية الظاهرة و الحدث المدروس لأن الحياة الاجتماعية في حالة تغيّر و تبدّل أيضا لا تتكون من زمن واحد بل يتدخل في حاضرها الماضي و المستقبل كلا له لحظته التاريخية المحدّدة و كل يصوغها على طريقته و هذا معناه أنّ التحليل الأنثروبولوجي يفسّر حاضر الظاهرة، وماضيها و مستقبلها الذي تولد فيه [3].

[1] ينظر: صلح فصل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، دار الكتاب اللبناني بيروت 2003 ص190

[2] ينظر: احمد خشاب، دراسات أنثروبولوجية، ط.ح مكتبة لأنجلو البصرية القاهرة 1964 ص84.

[3] ينظر: عز الدين دياب، التحليل الأنثروبولوجي للأدب ، ص70.71

يتضح مما تقدم أنّ التحليل الأنثروبولوجي أي كان موضوعه له صلات وثيقة بالعلوم الإنسانية لأنّ الإنسان من حيث هو كائن حيّ و بما يمارسه من أنشطة بنائيّه، و سلوك اجتماعي في حياته اليومية بشكل مشترك بين كل العلوم الإنسانيّة و غني عن التوضيح أن هذه الأنشطة تناولتها العلوم الإنسانية كل من جانبه ،ومن زاوية اهتماماته و تخصّصه بهذا الجانب الدّال، و كل علم من العلوم الإنسانية عندما يريد أن يبدأ الدراسة و البحث في الظواهر المتخصّص بها يجد نفسه بحاجة الاستغاثة بالعلوم الإنسانية الأخرى على قدر اختصاصها بنفس الظاهرة المدروسة .

إذا كانت اللغة على ارتباطها الوثيق بالأنثروبولوجي فيتعلق الأنثروبولوجي على اعتبار أنّها وسيلة لفهم الثقافية التي تتمثل في الإبداع الأدبي، و الفني ،و الفكريّ الذي يتميز به مجتمع عن غيره فالأدب بشقيه الشفهي والمكتوب يشكل جزءا من الإبداع الأدبي من هنا ترتبط الأنثروبولوجيا بالأدب ؛فغير الأدب يتعّرف الأنثروبولوجي على العادات و التقاليد و ثقافة المجتمع الذي يدرسه .

باعتبار النّص الأدبيّ خطابا يملك آلية داخليه لكنّه يرتبط بالسّياق الذي أنتجه ممّا دعا الأنثروبولوجي لوضع النّصوص الأدبيّة في مجموع الانتاجات التي يحاول الإنسان بواسطتها معرفة العالم والآخرين، وبالتالي معرفة ذاته أيضا، فالعلاقة بين النّصوص الثقافيّة والأدبيّة بخاصّة، وبين السياقات الاجتماعية التي أنتجتها واضحة جدا، فالأدب مجال أساسي لمعرفة الجانب الاجتماعي، فهو يسجل ملامح العصر بأمانة وإفلاس ويعبر بصدق عن المعاملات السائدة بين الناس، وعند "أتوماس وارتن" مؤرخ الشعر الانجليزي وعند كثير ممن خلفه من النقاد القدامى[1].

[1] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، ص22.

الأدب قبل كل شيء يشبه متحف يعرض عادات الناس وأزيائهم، هو مصدر مهم من مصادر تاريخ الحضارة فهو مرآة للحياة ومحاكاة لها، كما أن للأدب دور كبير في أركيولوجيا المعرفة.

من خلال الأعمال الأدبية التي تكبر فائدتها كلما ازدادت نضجا[1] ا، وقد قدمت وثائق فلأن هذه الوثائق هي آثار تذكارية متمثلة بالأدب المكتوب، وهو ثقافة مخزونة بشكل رصيد ثقافي يتخذ شكلا ماديا ثابتا، فعند قراءة الأعمال السردية نجد فيها عناصر تاريخية و عناصر نفسيّة وعناصر جغرافيّة و عناصر اجتماعية .[2]

كما يستطيع الأنثروبولوجيون من خلال النّصوص الأدبية التي يدرسونها تطوير الأخر و الإحساس به، و تقمص الحالات البشرية أكثر مما يستطيعونه من خلال العلوم الإنسانية ؛ فهناك مساحة مشتركة بين الدراسة الأنثروبولوجية و الإبداع الأدبي، و خاصّة العمل الروائي و القصصي ؛لأنّ كليهما يستمدّ عناصره أو المادة الخامة من المجتمع و الواقع المعيش إلاّ في أحيان قليلة و في نوع معيّن بالذات من الأعمال الروائيّة فالظواهر الأنتروبوغرافية و الاجتماعية موضوع مميز للأنثروبولوجيا وهي الظواهر نفسها التي يعترف بها الروائي و القاص و تشكل سياقاته الخارج نصبة[3].

و الملاحظ هنا أن العلاقة بين الأنثروبولوجيا و الأدب علاقة تأثير متبادل في المناهج، و الأفكار بحكم أنّ الأدب على اختلاف أجناسه الأدبية يشكل مادة و موضوعا للأثروبولوجيا من النقد الأدبي مرورا بالحكاية الشعبيّة و المسرحيّة وصولا إلى الرواية و القصّة و الشعر .

[1] محمد مؤنس، الحضارة دراسة وأصول وعوامل قيامها وتدهورها، عالم المعرفة ، الكويت، 1978، ص53

[2] حسين فهيم ،قصة الأنتروبولوجيا ص33

[3] عيسى الشماس، مدخل علم الإنسان 35

الفصل الأول: فن الرواية - تحديدات نظرية -

1. المفهوم

2. النشأة

3. الأنواع

4. العناصر

لقد عرف العرب العديد من الأجناس الأدبية فكان منها ما هو شعر ،ومنها ما هو نثر، ولقد تجسّد هذا الأخير في عدة فنون كالخطابة و المقامة والحكاية و القصة وفن الرواية موضوع بحثنا هاهنا .

1. المفهوم

أ. **لغة** : لقد جاء في معجم "الوسيط"(روى) وما نحوه من مادة (روى) تزود بالماء (روى) فلان في الأمر نظر فيه وتفكّر .

ارتوى : روى يقال ارتوت مفاصله اعتدلت وغلظت .

الأراوي :اسم جمع للأراوي .

الرّاوي : راوي الحديث أو الشّعر . حامله , وناقله وجمعه رواة .

الرواية : القصّة الطويلة .[1]

ب. **اصطلاحا** :إنّ الرّواية في عصر التعريفات التي تداولت في السّاحة الأدبيّة كونها " الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع , مادتها الإنسان في المجتمع وأحداثها نتيجة لصراع الفرد مدفوعا برغباته وميله ضد الآخرين "[2]

ويعرفها عبد المالك مرتاض " بأنها كل فعل أو عمل سرديّ مطول نسبيا معقد التراكيب والبناء والقائم على تقنيات الكتابة المعروفة، وتقوم الرّواية على السّرد قبل كل شيء ذلك أنّ الروائيّ عندما يكتب رواية ما يقوم بإجراء قطع و اختيار

[1] معجم اللغة العربية ,معجم الوسيط ,مكتبة الشروق الدولية جمهورية مصر العربية ,ط4, 2004 ص 384.

[2] فاطمة موسى، بين الأدبيين العربي والانجليزي , مكتبة الأنجلو المصريّة , 1965 , ص2 .

للوقائع التي يريد سردها[1] فهو ينظم المادة الخام، والتي تتألف منها قصتها ليمنحها شكلا ناجحا ومؤثرا في نفس القارئ " .

والملاحظ من خلال التعريفات السّابقة لغويّة و اصطلاحية أنّ الرّواية هي نوع سردي من أنواع الأدب ،وهي نتاج قصصيّ مطوّل يعتمد على سرد الأحداث، والوقائع في ترابط وتسلسل منطقي وجميل ليستحسنه القارئ فهي جنس مختلف عن باقي الأجناس الأدبيّة بخصائص مميزة لها.

2. النشأة

الرّواية كجنس قائم بذاته لم تكن معروفة في الأوساط الأدبية العربية؛ فقد انتقلت من البلاد الغربية وكانت المبادرة في بلاد المشرق قبل المغرب نتيجة للظروف السياسيّة وذلك من خلال احتكاكها المباشر بالثقافة الغربية ،فكانت أوّل رواية عربية هي رواية "زينب" "لمحمد حسنين هيكل" والتي صدرت سنة 1914 , فمنهم من يقرأ أنّ رواية هيكل اعتبرت منعرجا حاسما على مسار الرّواية بحيث توفّرت على جميع العناصر الفنيّة .[2]

استحسانا لدى النقاد ،والقرّاء فقد تزامنت مع مرحلة النهوض الفكري في بلاد المشرق وعلى صعيد الساحة الأدبية فقد نالت الرّواية حظّها من الدراسة والتأليف ،فكان منها ما هو رومنسيّ وما هو واقعي ،وآخر اجتماعي .....الخ [3] .

وهكذا نجد أنّ الرّواية العربيّة أخذت في تطور مستمر لدى المشارقة لتضاهي في تطورها الرّواية الغربية في وقت وجيز .

---

[1] عبد المالك مرتاض , في نظرية الرّواية , بحث في تقنيات السرد , سلسلة عالم المعارف . الكويت ,1998 ص23

[2] ينظر جاسم الموسوي ، الرواية العربية , النشأة والتحول دار الآداب ,بيروت , ط 2 , 1988.ص 20.

[3] نفسه , ص 22,21 .

والواضح أنّ الرّواية العربيّة أخذت في التطور حتى وصلت إلى هذا المستوى المعاصر، والتي تندرج تحت اسم الرواية الجديدة الذي أطلق في بداية فترة الستينات وتجاوزت الرّواية في هذه المرحلة التقنيات السردية للرّواية الكلاسيكية من حيث التصميم الفني والأداء الروائي .

أما على المستوى المغربي ورغم العزلة التي فرضها المستعمر على بلدان المغرب العربي إلا أننا نجد تأثرا كبيرا للأدباء المغاربة بالرواية المشرقية على الرغم من أنّ في الجزائر كان النشء متفرنسا وتلتها مرحلة الإبداع الفنيّ على يد الأديب الجزائري " الطاهر وطار"، و" ابن هدوقة"، و" أحمد رضا حوحو" "وعبد الحميد الشافعي" ممن تأثروا بالرّواية العربية المشرقية.[1]

[1] ينظر .محمد الصاحي مرأي واخرون , لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها , دراسات الأدب المعاصر السنة الرابعة 1991,ص 101 .

3. الأنواع

تختلف الرّواية بالنسبة للأجناس الأخرى بتوفرها على عدة أنواع :

1-الرواية الحربيّة : وهذا النوع فرض بسبب الأوضاع التاريخية بسبب وقوع معظم البلدان تحت وطأة الاستعمار، ولما أفاقت هذه الشعوب من غيبوبتها أعلنت الحرب على المستعمر نتج ذلك على بث الوعي الخيالي في شرائح الكتاب بحيث أنتجوا لنا أعمالا أدبية تخلد نضال تلك الشعوب التي عانت هول الاستعمار وكابدت شتى أنواع القهر والظلم [1]

2-الرواية التاريخية : وهي أهم نوع روائي إذ احتلت موقعا مرموقا ضمن أنواع الرواية وهي رواية تهتم بتسجيل الأحداث والوقائع التاريخية، ولذلك فإن خلفية هذا الموضوع تستمد من الماضي .[2] بالإضافة إلى أنواع أخرى منها الرواية الاجتماعية والبوليسية وغيرها ...الخ.

3.الرواية الاجتماعية: يكتسي هذا النوع أهمية بالغة وانتشارا واسعا لكونه لسان حال شرائح واسعة من المجتمع إذ "يتميز هذا النمط عن بقية الأنماط بالواقع الاجتماعي بشكل أعمق وأوسع، إذ يصور مشكلات هذا الواقع وهمومه على مستوى طبقة اجتماعية كاملة، فهموم شخصياتها مرتبطة بهموم الواقع الذي يحتويها وما تعانيه من أزمات خاصة ذاتية يرجع في جزء منه إلى طبيعة الظروف الاجتماعية، والأوضاع السياسية القائمة ويمكن أن يكون هذا النوع مصدرا من مصادر التاريخ للحقبة الزمنية التي تقع أحداث الرواية فيها، مع الأخذ في الحسبان ما تقتضيه طبيعة الفن الأدبي من أصول يحقق بها ذاته وينأى بها عن مجرد التسجيل ."ولشدة ارتباطها بالواقع تعرف بالرواية الواقعية. [3]

---

[1] ينظر .عبد المالك مرتاض .في نظرية الرواية .نفسه ص 44.43.

[2] ينظر .عبد المالك مرتاض .في نظرية الرواية .نفسه ص 45.

[3] محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الرباط 2010 ،ص24.

غير أن الواقعية في بداية أمرها كانت أسسها ومنطلقاتها فلسفية محضة، ثم انتشرت كمذهب في جميع أنواع الفنون .والواقعية في الأدب بمعناها العام "هي محاولة تهدف إلى تصوير الحياة الطبيعية الإنسانية، بأوسع معانيها وبأدق أمانة ممكنة، وهي ترفض الواقع إلى مستوى المثال أو بمعنى آخر أن تصور الواقع في هيئة التكامل أو المثال من أجل أغراض معينة أهمها ، كما ترفض أن تعالج الموضوعات تحقيق الجمال أو المحافظة على كمال الأسلوب "التي تسمو عن الواقع إلى ماوراء الطبيعة.[1]

4.**الرواية النفسية (التكوينية** :(تعددت مسميات هذا النوع من الرواية بحسب المفاهيم التي اتخذها فمنهم من سماها الرواية النفسية، ومنهم من سماها الرواية التكوينية، والبعض أطلق عليها اسم الرواية الوجدانية، وكل ذلك يصب في قالب واحد، فهي لا تخرج عن طور التكوين في مراحل عمرية للشخصيات مرتبطة بالجانب النفسي والوجداني لها فهي "تصور التحولات العاطفية والنفسية والفكرية التي تنتهي بنضج بطل شاب تصقله تقلبات الحياة، وتصلب عوده ،ويمكن ان ينتسب هذا البطل انتسابا مباشرا أو شبه مباشر إلى الكاتب نفسه، أو يصوره في المرحلة التكوينية الأولى من حياته، مثلما ينسب (غرتر (إلى الشاعر جوته، أو يشير بطل رواية (طريق اللحم) إلى صموئيل بتلر، وقد يكون البطل في رواية التكوين من اختراع مخيلة الكاتب، التي تبتكر شخصيات روائية خالصة[2]"

. وقد يصور هذا النوع من الرواية التجارب الشخصية الخاصة، التي ترتبط بالجانب السلوكي لأن هدف الرواية "الاهتمام والعناية بالأحاسيس الفردية والبحث في الدوافع النفسية الواعية واللاواعية، التي تتحكم في سلوك الأفراد، ومن ثمة يهيمن الزمن النفسي على تطور الأحداث، وهو في الغالب زمن نفسي مكثف يحدث في وعي الشخصية وتفكيرها[3]."

---

[1] محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر ،دار المعرفة للنشر، الأزرايطة، قناة السويس، 117.ص، 2005

[2] جابر عصفور: زمن الرواية، مطابع الهيئة المصرية العامة، دار المعارف للطباعة والنشر، ط1 ،1999 ،ص 235.

[3] محمد بوعزة: تحليل النص السردي، مرجع سابق، ص26.

5. **الرواية الأسطورية** :تشكل في هذا النوع الأسطورة مادة المتن الحكائي، فالروائي يعتمد على أسطورة ذائعة الصيت ترسخت في ذاكرة الأمة عبر تعاقب أجيالها، وأصبحت جزء من ثقافة تلك الأمة فاكتسبت سلطة في الضمير الجمعي لها، واستعمال الأسطورة في هذا النوع يتوجه إلى الحيز العجائبي والخرافي فيها سواء على صعيد الأحداث أو الشخصيات، قصد خلق عوالم خاصة، بعيدة كل البعد عن الواقع، لقد "أفادت الرواية التي أطلق عليها هذا الاسم من الطبيعة الخاصة للأسطورة، فابتعدت في عمومها عن الواقع 1المألوف، وكان رباط الأحداث فيها منوطا بشخصية البطل أكثر من أي شيء اخر "، وقد مثل لهذا النوع طه حسين في روايته (أحلام شهرزاد)[1].

6.**الرواية التعبيرية** :التعبيرية هي مذهب يقوم على التعبير عن المشاعر والعواطف والحالات الذهنية التي تثيرها الأشياء، أو الأحداث في نفس الفنان، ويرفض مبدأ المحاكاة . كما ارتبط ظهور التعبيرية بالفنون الحديثة، التي تميز بأسلوب فطري له علاقة بتغيير وتبديل في العناصر والأشكال الطبيعية التي تحدث تأثيرات انفعالية.

7.**رواية السيرة الذاتية** :تعنى رواية السيرة الذاتية بالتعبير عن حياة الكاتب كلها، أو جزء منها وتصور أهم المحطات والأحداث المرتبطة بشخصية الكاتب للدلالة على مجموعة من التجارب والخبرات الحياتية المفيدة، والتي يراها تشكل في نهاية المطاف قيما إنسانية نبيلة . يعرفها فيليب لوجون فيقول هي :"حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي يعبر عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة[2]"

[1] شفيع السيد: اتجاهات الرواية العربية، كلية دار العلوم ،ط1 ،1997 ،ص 53.

[2] –محمد بوعزة: تحليل النص السردي مرجع سابق، ص35.

4. العناصر

للرواية عناصر تميزها عن باقي الأجناس الأدبية وهي :

1-الشخصيات : تعد الرواية أكثر الأجناس الأدبية عناية بالشخصية , فالراوي داخل عمله الأدبي يتميز بالحرية المطلقة في تشكيل ورسم شخصياته إلى جانب استثماره [1] .لجميع الوسائل المعرفية والتقنية وهذا ما يجعل الشخصيات تتعدد فالشخصية هي الكائن المتحرك الذي يتحرك في سياق الأحداث وتتعدد , فقد تكون على شكل إنسان وقد تبرز على أنها حيوان واستخدمت في العديد من الأحيان على شكل حروف س , ع .... الخ وصولا إلى تحقيق القضية التي أرادها المؤلف[2]، فالشخصيات تتعدد وتتنوع داخل العمل الأدبي منها .

أ-الشخصيّة النامية : وهي التي تنمو بنمو الأحداث وتتقدم على مراحل أثناء تطور العمل الروائي وهي في حالة صراع مستمر مع الآخرين أو حالة صراع نفسي مع الذات وهذا ما يجعلها دائمة التغير داخل العمل الروائي .

ب- الشخصيّة المسطحة (الثابتة) :

ويطلق عليها أيضا اسم الشخصية البسيطة لأن طبيعتها لا تكاد تتغير من بداية العمل الأدبي – القصة أو الرواية – حتى نهايته . فهي تثبت على صفة واحدة ولا تكاد تفارقها .

[1] طه الوادي ،دراسات في النقد والرواية ،دار المعارف القاهرة ،ط2. 1994 , ص39.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية . نفسه ص 121.

ج – **الشخصيّة المساعدة :** وهي الشخصية التي تساهم في تطور الأحداث لأن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية على الرغم من أنها تقوم بأدوار مصيرية أحيانا في حياة الشخصية الرئيسية[1].

تقديم الشخصيات : لكل كاتب ومؤلف طريقته الخاصّة في تقديم شخصياته داخل العمل الأدبي منها :

أ– **أسلوب التقديم المباشر: (الأسلوب التقريري):** يلجأ الروائيون الذين يعتمدون على الأسلوب المباشر في تقديم الشخصية الروائية إلى طريقتين : أن يقوم السارد بتقديم الشخصية من خلال الاعتماد على الوصف الخارجي لهذه الشخصيّة فنجده يحدد ملامحها منذ البداية.

ب – **الأسلوب غير المباشر:** لقد عرف بعض النقاد الأسلوب غير المباشر أو بما يعرف بالأسلوب التصويري في تقديم الشخصية الروائية المتخيلة على أنه أسلوب يصور الشخصيّة وهي تعمل عملا تتكشف فيه للقارئ تلك الصّفات والطبائع دون أن يصرح المؤلف بشكل مباشر عن صفات هذه الشخصية وطبائعها و أفكارها وعواطفها[2].

فالمؤلف هنا يترك المجال مفتوحا للقارئ لأن يكتشف الشخصيات من خلال التعليقات الواردة في النص الأدبي .

2 – المكان:

وهو ذلك الحيز الذي تدور فيه الأحداث فللمكان أهمية داخل العمل الروائي والقصصي بحيث يحدّد المكان معالم العمل الأدبي جغرافيا ؛فالكاتب يعمل على وصف

[1] ينظر طه الوادي , في دراسات في النقد والرواية ,ص ص 46.45 .

[2] ينظر طه الوادي , في دراسات في النقد والرواية . ص47.

المكان وصفا دقيقا بكل ما فيه من تفاصيل ويكون الأقدر على الكشف عن جوانب الشخصية و أبعادها النفسية [1] .

*- **وصف المكان** : الوصف هو الأداة التي تشكل المكان وتتفاوت الروايات في استخدامها وهي تبني فضائها المكاني فقد اهتم كتاب الرواية الواقعية بوصف الإطار العام بحركة الشخصيات بينما جعلته الرواية الجديدة أكثر دقة وتفصيلا وركزت على قياس المسافات و الشكل الهندسي للأمكنة .

*- **التشكيلات المكانية :**

1- **الأماكن المغلقة** : وهي الأماكن التي تكون محدودة بجدران وأسقف كالغرفة وغيرها .

1-الأماكن المفتوحة : و تكون هذه الأماكن لا متناهية مثل الغابة و البحر .... الخ .[2]

3-الحوار:

وهو الكلام الذي يدور بين شخصيتين وعرّفه بعضهم أنه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يتأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصام والتعصّب وهو ضرب من الأدب الرفيع و أسلوب من أساليبه [3] .

فالحوار في القصة من الضروري أن يكون قصيرا معجزا بلا فصول وقد يلعب دورا رئيسا كعنصر قصصي و هناك من القصص، فالروايات عمودها الفقري الحوار ، فالحوار هو تلك المحادثة التي تدور بين شخصين ،فهو وسيلة فنيّة لتقديم الشخصيات و

[1] نفسه ،ص 54

[2] ينظر : بنظر عبدالمالك مرتاض في نظرية الرواية، ص 124.

[3] نفسه،ص50

الأحداث والتعريف بها بحيث يطل القارئ من خلالها على ثنايا الرواية . كما يؤدي الحوار وظيفة التعبير عن أداء المؤلف في الرواية على ألسنة الشخصيات فهو يخفف من رتابة السرد ويريح القارئ ويبعد عنه الشعور بالملل ،و يساعد على رسم شخصيات القصّة و تصوير موقف معين أو صراع عاطفي أو حالة نفسيّة و ينقسم الحوار إلى نوعين [1] :

- **الحوار الداخلي (مونولوج)** :

يعرفه الناقد " دون جارون " بأنه الخطاب غير المسموع و غير المنطوق الذي تعبر به الشخصية عن أفكارها القريبة من اللاوعي : إنه خطاب لم يخضع لعمل المنطق فهو حالة إبداعية وجملة مباشرة قليلة التقيد بقواعد النحو كأنّها أفكار لم تتم صياغتها بعد[2].

الحوار الخارجي : (الديالوج) : يشكل الحوار إحدى تقنيات السرد بحيث يرتكز عليه الأسلوب الدراسي في تقديم الشخصية الروائية المتخيلة يكون الحوار نابعا عن ذات الشخصيات المتحاورة وقد تعددت تسمية المكان فمنهم ما يسميه الحيز(place – lieu) والفضاء (espace) فلم يتفق الباحثون على اسم واحد للمكان فنجد عبد المالك مرتاض يستعمل لفظة الحيز مبرّرا لذلك بقوله " لقد خصصنا في أمر هذا المفهوم و أطلقنا عليه مصطلح الحيّز مقابلا للمصطلحين الإنجليزي والفرنسي (espace) و (place) ".

4.الزمان : وهو أحد أهم العناصر المكونة للرواية وليحدث التمييز لا بد من منطق مسرود وذلك كي يقف القارئ على أحداث يفعل فيها الزمن إما بالاسترجاع أو تتالي أو انقطاع , فالزمن هو القصّة و هي تتشكل و هو إيقاع .[3]

---

[1] ينظر : بنظر عبدالمالك مرتاض في نظرية الرواية، ص 52.51 .

[2] نفسه،ص56.

[3] صدوق نور الدين : البداية في النص الروائي .دار الحوار للنشر والتوزيع .سوريا ,ط1 , 1994. ص35.

والزمن في الرواية يتمثل في زمنيين هما :

الزمن الخارجي : ويشمل زمن القراءة وزمن الكتابة . فزمن القراءة يتحدد في الفترة التي يشرع فيها المتلقي بممارسة القراءة : أي تلقي المكتوب بهدف حلوله في ذهنه

أما زمن الكتابة فهي المرحلة التي أقدم فيها المبدع على تدوين أحداث نصّه و الزمن الأول و الثاني لا يلتقيان بحكم أن القراءة لا تترتب إلا عن الكتابة .

2-الزمن الداخلي :

يتعلق بكيفية ترابط الأحداث داخل السرد .إن السارد ليس ملزما بتقديم الأحداث كما جرت فهو يقدم ويؤخّر ويسترجع ويقلص و يحذف , فالزمن الداخلي عموما زمن فني خيالي ينسجه الكاتب بما يتطلبه الإبداع الفنيّ.

3 – التقنيات الزمانية :

وهي مجموعة من الآليات يوظفها المؤلف خلا ل عمله الأدبي منها[1].

أ-الافتتاحية : وهي بمثابة مفتاح يساعد القارئ على متابعة السّرد ،وفهم الأحداث و اكتساب هذه التقنية وظيفة هدفها القارئ , تدخله عالما مجهولا من صنع المبدع , مقدمة له خلفية هذا العالم , بحيث يتمكن من إصدار الاستنتاجات أثناء القراءة , وبعدها ومن ثم كان للماضي والمكان طرفين أساسيين في بناء الافتتاحية.[2]

ب- المفارقات الزمنية : مما لا شك فيه إن الرواية تحتوي على العديد من الأحداث التي تقوم بها الشخصيات فالكاتب مجبر على كسر الأحداث المتسلسلة زمنيا داخل النّص الروائي , و إعادة النظر في تزامنها فاللغة لا تمنح الكاتب القدرة على ذلك : بحيث لا

[1] حليمة زغب والبشير مناعي : الخطاب الثوري في الرواية العربية المعاصرة , مذكرة معدة لنيل شهادة الماستر .الأداب واللغة العربية كلية الأداب واللغات جامعة حمة لخضر الوادي .2017/2016.ص ص 21.20 .

[2] نفسه , ص 21.

يمكنها ذلك نظرا لخطيتها, فقد يضطر الكاتب إلى إيراد حدث قبل آخر ثم العودة إلى الماضي ثم القفز إلى المستقبل أو التخلي عن الشخصية لعرض شخصية جديدة وهكذا .[1]

ويتضح مما ذكرنا سابقا من نقاط في هذا الفصل إنّ الرواية من الأجناس الأدبية الفنية القائمة بذاتها انتقلت من البلاد الغربية وتأثر بها الكتاب العرب وأبدعوا فيها ،وتعتبر مرآة عاكسة للمجتمع وللحياة في قالب أدبي مميز و متعدد الأنواع تتخلل هذا الجنس عناصر تبرز اختلافه عن باقي الأجناس منها الشخصيات و الحوار كما يتميز الزمن في الرواية بإمكانية التحكم فيه نظرا لطول الرواية وكذا لجذب القارئ.

5. <u>الأحداث</u> : الحدث هو النواة التي تتشكل عليها الرواية زمنه الماضي , ويعد الحدث في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها , فالروائي ينتقي بعناية و باحترافية فنية الأدوات الواقعية أو الخيالية التي يشكل بها نصّه الروائي , فهو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافيّ ومن خياله الفني ما يجعل من الحدث الروائي شيئا مميزا ومختلفا عن الوقائع في زمن الواقع [2] .

والأحداث مترابطة فيما بينها برباطين : رباط الزمن الذي ينظم الأحداث ويجعلها مرتبة ترتيبا منطقيا حسب زمن الوقوع والحبكة التي هي رباط منطقي للأحداث يبين علاقة الأحداث بعضها ببعض .

والأحداث منظمة في الرواية بشكل هرمي تأزم , فعقدة , فحل . والروائي يختار شريحة من الأحداث أسرة أو شخصية تسير بخط شبه أفقي وان تكون مترابطة يربط بينهما

[1] حليمة زغب والبشير مناعي : الخطاب الثوري في الرواية ،ص22.

[2] www khammat – 2abdellah.ant.dz./lives/Narration.com

خط منطقي دقيق يجعل منها حكاية واحدة وسلسلة ذات فقرات مترابطة والأحداث تختلف في الرواية حسب نوع الرّواية :

أ.أحداث الرواية الاجتماعية : تعكس الأحداث في الرواية الاجتماعية المشاكل التي يواجهها الأبطال في محيط الأسرة، أو المجتمع كما تصف الأحداث السعيدة والحزينة وتعرض كذلك آثار بعض الآفات الاجتماعية والظواهر الاجتماعية [1] .و الأخلاقية المتفشيّة وتعقيدات العلاقات الإنسانية نتيجة لاختلاف المبادئ والمصالح والطباع .

ب. أحداث الرواية الوطنية : أما في الرّواية الوطنيّة فهي تظهر معاناة الشعب وكفاحه ضد الاستعمار أو ضد الغزو الأجنبي و أحداثها تفصل هذه المعاناة و الكفاح ضد الغاصبين وهناك الرواية الإنسانية والنفسية، وروايات المغامرة ،والخيال العلمي ،والروايات البوليسية والأحداث وهنا تتنوع حسب موضوع الرواية ونوعها والمغزى العام الذي ترمي إليه الرواية [2]

6 – الحبكة الفنية :

الحبكة مصطلح حديث الاستخدام نسبيا في لغة النقد الأدبي و الحبكة في الأدب التخيلي هي بنية مؤلفة من مجموعة أحداث مرتبطة فيما بينها قد تتشابك بسبب تعارض الرغبات وبسبب عوامل خارجية لا سلطة للإنسان عليها أي أنّ هناك صراعا ومعوّقات , وقد نظّم المؤلف تسلسلا وتدخل الأحداث بوعي انتقائي وبالتالي ترتبط الحبكة ارتباطا وثيقا بالجانب الدرامي في فنون السرد وتتنوع الحبكة إلى خمسة أنواع منها[3].

---

[1] أوشن ليليا، خيرات رتيبة، بنية الحبكة في الرواية زاوية لعبة السعادة لبشير مفتي أنموذجا , مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الاداب , كلية الاداب واللغات ,جامعة أعلي محند أولجام . البويرة .2018/2017.ص10.

[2] نفسه، , ص 27.

[3] لورانس بلوك : كتابة الرواية من الحبكة إلى الطباعة , ت.ر, صبري محمد حسن . دار الجمهورية للصحافة القاهرة 2009,ص162.

أ. **الحبكة التقليدية والحبكة الحديثة** : فالرّوايات التي تبقى أحداثها وفق تسلسل تتابعي وتاريخي للأحداث , بحيث تبدأ من نقطة زمنية معينة وتسير متتابعة وتنتهي عند نقطة زمنية أخرى تقوم على حبكة تقليدية أما الرّوايات التي تكسر هذا التتابع والتسلسل عبر تناوبها الزمني بين الماضي والحاضر والمستقبل فإنها تعتمد الحبكة الحديثة .

ب. **الحبكة المتماسكة والحبكة المفكّكة** : الحبكة المتماسكة هي التي تبنى أحداثها وفق تسلسل تتابعي وتاريخي للأحداث بحيث تبدأ من نقطة زمنيّة معينة وخطّة واضحة ومنهج مرسوم ودقيق ،أما المفكّكة فهي التي تعتمد على سلسلة من الحوادث المنفصلة [1] .

ج. **الحبكة البسيطة والحبكة المركبة** : الروايات ذات الحبكة البسيطة هي التي تقوم على حكاية واحدة , أما الرّواية ذات الحبكة المركبة فهي التي تقوم على حكايتين أو أكثر .

د. **حبكة مقابلة** : موضوع أو فكرة ثانوية تمثيلية في رواية , يستعمل إما كتنويع على نفس الموضوع الرئيسي أو كمقابل مضاد له وتلك الحبكة الفرعية تتكون من فعل ذي صلة بالموضوع الرئيسي رغم انفصاله وتميزه .

هـ. **حبكة فرعية** : حبكة ثانوية أو صغيرة الحجم في العمل القصصي قد تكون في تضاد مع الحبكة الرئيسية أو قد تعمل على إضاءتها أو قد تكون في موازاتها واهية الصلة بها.[2]

7 – رؤية العالم لفن الرواية : إن المادة السردية عامة سواء في القصة أو الرواية تكون في إعادة تشكيل العالم باللغة، أي أن الكاتب يسعى من خلال هذا النتاج الأدبي إلى بعث عالم خاص به عبر المادة اللغوية من فقرات وجمل وكلمات، ويسمى بعالم الرواية أو العالم الروائي. وفي هذا العالم يشكل الكاتب رؤية للحياة والكون والمجتمع . ولعل أهمية الرواية تكمن في كونها مجموعة من الأحداث يستثمرها الكاتب في ترجمة فلسفته في الحياة فيضفي

1لورانس بلوك : كتابة الرواية من الحبكة إلى الطباعة ، ص163.

2 نفسه ،،ص ص 166.165

عليها لمسة فنية ،وجمالية بدلالات جاذبة ومتون سردية مطرزة باستهلالات ،وانزياحات تضيف إلى رصيد القارئ اللغويّ والفكريّ والمعرفي الشيء الكثير [1] .

كما تتميز الرّواية بأنّها عمل أدبيّ يعكس من خلال أحداثه ،و شخصياته أهدافا ومعاني حياتية وشخصيّة لأبطال الرّواية تكون بمثابة رموز لمعاني أكثر عمقا تترسخ في ذهن القرّاء من خلال نسيج أدبي مترابط وحبكة درامية يتفاعل القرّاء مع الأحداث ،ويعيشون فيها ويتأثرون بها وبالطبع يوجد عدد هائل من الأعمال الأدبيّة ولكن القليل جدا منها ما يقدم رسالة وهدف ومعنى يتأثر به القارئ .

وكخلاصة لما قدم في هذا الفصل و انطلاقا من دراستنا للرواية و أنواعها وعناصرها يمكننا أن نستنتج أن الرّواية هي جنس أدبيّ نثري يتميز بعدة عناصر تسهم في التحام النص أهمها الزمان والمكان والحوار والحبكة والأحداث وتختلف هذه العناصر من رواية إلى أخرى حسب إبداع الكاتب وتعتبر الشخصيات والأحداث عنصرا مهما فهي التي تحرّك الأحداث فلا يمكن الاستغناء عنها .

[1] سمير الفيصل : الرواية العربية البناء والرؤية، منشورات اتحاد الكتاب العرب ,دمشق ,ط 2003, ص 171.

الفصل الثاني

التحليل الأنثروبولوجي لرواية " ليلة هروب فجرة "

1. نبذة عن حياة الأديب "أحمد زغب"

2. ملخص رواية" ليلة هروب فجرة"

3. التحليل الأنثربولجي للرواية

1- المستوى الإثنوغرافي

2- المستوى الأتنولوجي

3- المستوى الأنثروبولوجي

1.التعريف بالكاتب

نبذة عن حياة الأديب "أحمد زغب"

ولد أحمد زغب سنة 1960ببلدية الرقيبة ولاية الوادي

الأستاذ الدكتور أحمد زغب.

الدرجة العلمية: دكتوراه العلوم في الأدب العربي تخصص أدب شعبي من جامعة الجزائر.

الصفة أستاذ التعليم العالي بجامعة وادي سوف(الجزائر)

نشر العديد من المقالات والأبحاث العلمية المحكمة في الجزائر وبعض البلاد العربية كما شارك في العديد من الملتقيات والندوات العلمية داخل وخارج الوطن.

صدر له عدد من الكتب منها :

- أعلام الشعر الملحون 4 أجزاء.
- الأدب الشعبي الدرس والتطبيق
- مبادئ الأنثروبولوجيا 2012.
- لهجة وادي سوف دراسة لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث2012
- عمود الدخان: رواسب الآخر في الثقافة الشعبية 2015.
- الفولكلور النظرية و المنهج والتطبيق.2015.
- سيمياء الشعر الشفاهي.
- داراسات في الشعر الشفاهي.
- الأرجوزة النسويّة .
- الألعاب الشعبية مقاربة أنثروبولوجية لنماذج من الألعاب.

– جمع دواوين الشعر الشفاهي من ذاكرة الرواة –أحمد بن عطا الله – إبراهيم بن سمينة – فاطمة منصوري– الهادي جاب الله.

– الغزوة الشفاهية . الأدوار الاجتماعية والثقافية والسياسة.

– من البدو إلى الحضر.دراسة سوسيو ثقافية لقبيلة أولاد جامع.

– تحريك السواكن تأملات في المسلم به والمسكوت عنه..

–أبو القاسم سعد الله كما عرفته.

- – تلخيص رواية: ليلة هروب فجرة.
- الكاتب : الدّكتور أحمد زغب .
- – له من الأعمال إبداعية 4روايات – المقبرة البيضاء– سفر القضاة– ليلة هروب فجرة

2.ملخّص الرّواية :

حاول صاحب الرّواية أن يسافر بنا إلى زمن غابر موغل في القدم من تاريخ منطقتنا الزّاخرة بالأحداث والوقائع، تجلّت فيها صورة الإنسان السّوفي البسيط العاشق للحياة، المتشبث بأصالته، الكادح من أجل لقمة عيشه، يصارع فيها شحّ المورد، و قسوة الطبيعة، واستعمارا جاثما على صدره منتهكا لحريته، قاتلا لإبداعه .

في خضم كل هذا تستمر الحياة بحلوها ،ومرّها وهنا يتوقف بنا صاحب الرّواية مع محطّة من محطّات الأمل في قرية باغام حيث يُولد حبّ فتيّ، نما كما تنمو الزهرة على ضفاف نهر جار. بين باكي(فجرة) الفتاة الرّائعة، الجميلة، الغضّة ،الحالمة بمستقبل جميل مع فارس أحلام نسجت صورته بأمانيها، وبين الفتى الشّهم الشّجاع عايش ابن البادية الذي أراد أن يتحدّى عادات رسمها الإنسان بنفسه وخطّ قوانينها بجبروته وتكبّره وعناده واستعلائه على أخيه الإنسان.

هنا ظهر الصراع المحتدم بين حاجات الفرد وأهوائه ورغباته الخاصّة ،وبين ما تتطلبه أعراف وقيم المجتمع الكبير حيث تمّ رفض هذا الحبّ الوليد بين الطرفين لأنّه تجاوز أعراف القرية القائل بعدم زواج ابن البادية ببنت الحضر .

باغام قرية نائية هادئة يتجمع سكّانها على المحبّة والاحترام ،والعمل الدؤوب من أجل تأمين لقمة العيش، تحيط بها قرى صغيرة تؤنسها في الوجود على أرض صحراوية جدباء قاحلة تسوّرت بكثبان رملية عاتية ،إلاّ أنّ الرجل السّوفيّ تسوّر معها بالجَلد وقوّة العزيمة، ليتكيّف مع واقعه الذي رسمه له أجداده من قبل ،ومن هؤلاء الرّجال الحاج الحفناوي الذي جمع المجد من أطرافه كما يعتقد أهل قريته على الأقلّ ؛حيث تميّز عن غيره من أهل منطقته أنه تاجر تمور، ومواش، وله غوط يحتاج للاستثمار فيه إلى غيره من سواعد العمل ،وتميّز أيضا بسداد رأيه فالكل يحترمه , وله زوجة عُرفت بطاعتها العمياء له

،وأبناء وبنات لزموا طاعته في المنشط والمكره ومن أبرزهم عامر الفتى البكر ،ومباركة أو باكي كما يحلو لهم مناداتها وعلي ومسعودة والخالة زينة .

طلبت باكي من أبيها أن يبتاع لها (الحرام) بكسر اللام وسكون الحاء وينطقونها بترقيق الرّاء من أجل رقصة النخِ وكان لها ذلك ،وعكفت على تجربته بمساعدة الخالة زينة رغم صغر سنّها، وكانت تتفاخر بذلك بين أترابها، و تنتظر موعد عرس أخيها بفارغ الصبر لتجربته أمام جمهور النّساء والرجال كما جرت العادة في القرية .

وفي المقابل عكف عامر لتحضير عرسه بما يراه مناسبا ،ومميزا فاتصل ببعض الشّباب الذين يحسنون استعمال القاربيلا ويتقنون الزقايري لإحياء حفل العرس، ومن الذين برعوا في استخدام القاربيلا شاب من البادية من نجع أولاد حامد يدعى عايش كان محطّ أنظار الجميع بوسامته، وخفّة يده، وروعة استعراضه بقنّاره المائل .

الشّبان الذين وقع على عاتقهم تنشيط حفل عامر كان لهم كأب روحيّ يستلهمون من تجاربه الكثير، ويعتدّون بآرائه، ويحفظون أشعاره، وهو محطّ إعجاب شباب القرية لأنّه يدرك حاجاتهم، ورغباتهم ويعرف مكمن هواهم :إنّه رابح الشّاعر صاحب المغامرات الأسطوريّة حسبهم لأنّه الرّجل الوحيد الذي كسّر الأعراف ،وتحدّاها حيث خطف محبوبته من بين أهلها، وصنع الفارق بينه وبين أبناء جيله بالتحدي وكان شباب القرية يسمرون عنده ،يتشربون أفكاره ،وقصصه ،ومغامراته بإعجاب كبير.انطلقت الاستعدادات على قدم وساق، والتدريبات على الزقايري ،وضرب القاربيلا ،وحفظ الأشعار الشعبيّة المناسبة وكل ذلك بإشراف تام للشّيخ رابح .

في هذه الأثناء كان عامر العريس المرتقب يمرّ بالجامع ويرى الصّغار يحفظون القرآن فرجعت به الذاكرة إلى أيام طفولته في الكُتّاب ،وقصصه مع الطّالب الشيخ الحسين وقسوته عليه لأنّه يحظى برعاية خاصّة .لأنّه ابن الحاج الحفناوي وهذا الأخير كان يغدق العطاء على الشّيخ الحسين وتذكّر معها صراعه مع أقرانه ووو...وفي هذه اللحظة سلّم

على شيخه ورغب قي خدمة الجامع وتقديم يد المساعدة في ذلك ولم ينس دعوة شيخه ليوم العرس الأكبر، وكذا دعوة كل من يلاقيه في طريقه من أهل القرية.

وجاء اليوم الموعود وبدأ الحفل الكبير بإطلاق وجه بارود للإعلان عن بدء العرس وكلّ مراسيمه المتعارف عليها في ذلك الوقت، وهنا شرع شبّان القاربيلا والزقايري يستعرضون مهاراتهم وسط الجموع الغفيرة وخرجت الفتيات ،وبعض النساء الكبيرات من المطلّقات الراغبات في إعادة الزواج بالنخ بشعورهن المسدولة على أكتافهن باستخدام الإحرام وذلك لجلب انتباه الراغبين في الزواج وأطلّت نجمة العرس باكي وشعرها الحريري الأسود الفحميّ الذي تحسدها عليه كلّ فتاة مع طول ممشوق ،وثغر باسم، وهي محطّ أنظار الكثير من فتيان القرية رغم علمهم أنّها ستكون حليلة ابن عمّتها العرباويّ في آخر المطاف .إلاّ أنّها غوت قلب ابن البادية من نجع أولاد حامد ،وتبادلا المشاعر الفياضة رغم أنه لا يعرف اسمها، ولكنّه سمّاها فجرة لأغنية كانت تترد في الحفل وقد فازت بقنّاره المائل ،وقد قام برشها بالعطر وهذا دليل عن إعلان صريح لرغبته في الزواج منها كما جرت عليه العادة والعرف في أهل البادية . وما إن انتهى اليوم الأوّل للحفل زاد عايش غمّا على غمّ وصراعا مريرا مع نفسه، وناقما على أعراف مجتمعه الرّافض لهذا الزواج بحجة الطبقية المقيتة . وفكّر بمغامرات الشيخ رابح الشّاعر وخطفه لمن ملكت عليه فؤاده وعزمه على نفس الفعل .

في هذا الصّراع الكبير أدركت قبيلة أولاد حامد فداحة الأمر، وعزمت على مناقشة هذا الموضوع بين أفرادها حتى لا يقع المحظور، وينكشف المستور. فقرّروا بعد مدّ وجزر أن يتقدموا للحاج الحفناويّ صاحب الفضل عليهم، واليد البيضاء بطلب كريمته لابنهم عايش خوفا من طيش الشّاب وخطفها ،وهنا تدخل الشّيخ رابح لإقناع عايش بالعدول عن فكرته ،وترك المجال للشيوخ ليروا في أمره والخروج بما يرضيه . وتساءل أهل القرية عن سبب زيارة نجع أهل حامد للحاج الحفناويّ في هذا الوقت ولم يحظوا بالإجابة الشافيّة، وفي خضم هذا التجاذب وتسارع الأحداث أطلّت فرنسا بفكرة تسجيل الناس بألقاب يُعرفون بها،

وعملت على تقسيم العائلات الكبيرة ليتسنى لها تشتيت القبيلة الواحدة لعدة عائلات وإعطائهم أسوء الألقاب وركزت على القبيح منها للتشنيع بهم كالأعور، بوجلخة، الحلوف، القرد، الفار ... فرفض أهل البدو ذلك وحمدوا الله أنهم لم يكونوا من الحضر وكان من أبرز الرافضين لذلك العرباوي الصّهر المفترض للحاج الحفناوي وتمنى الكثير منهم لو كانوا بدوا وأدركوا أن نية فرنسا من هذا الإجراء هو تقييد حريتهم واستغلالهم في الحروب ....

إلاّ أن عايش لم يعر هذا الأمر الاهتمام الذي طغى على أهل القرى وفكّر بإرسال امرأة حاذقة يعرف من خلالها حقيقة مشاعر فتاته تجاهه قبل أن يعزم على خطته، فكانت أخته عيشة أفضل مُرسَل، وقد وافقته على ذلك وطمأنته في إيجاد حيلة مقنعة لوالديها لزيارة القرية، وكان لها ذلك وفي هذه الأثناء وصل الشيخ رابح حكيم أولاد حامد ،وذكيهم وقد دخل على عايش محاولا إقناعه بألاّ يخطف باكي (فجرة) حتى يعطيه الضوء الأخضر واستنفاد سبل التفاوض مع والدها.

وصلت عيشة بذريعة ما لمعشوقة أخيها ووجدتها متألمة حزينة مكروبه تندب حظّها العاثر يعانقها أمل أن يخطفها البدويّ الوسيم، وألم الزواج الذي يطرق بابها في هذه اللحظة أبرقت بارقة الأمل بوصول عيشة وتجاذبا أطراف الحديث، فأدركت من خلالها اسمها الجديد الذي ارتضاه لها فارسها البدويّ إنّه فجرة لحظتها رجعت بها الذاكرة لكلمة حبيبها في الحفل الذي يتغنى باسم فجرة فسرّت بذلك .وبعد انصراف أخت الحبيب عزمت على القيام ببدعة لم يعتدها العرب ،فأرخت فيها العنان لهواها ،وأصغت لداعي السّراب المتعطش لهتك عُراها، فتعلق قلبها الغضّ وبدأت ترسم بسذاجتها معالم انحدارها نحو الهاوية .

وممّا شجّعها على الإقدام على خطتها طمطم المرأة المترجّلة، التي حفّزتها على رفض القيم الاجتماعية الباليّة حسب تصوّرها وتقنع الجميع أن باكي من اليوم فصاعدا اسمها فجرة كما تحبّ هي أن تُنادى وتباهت باكي بالاسم الجديد وتحدّت فعلا الجميع بما فيهم من أسموها مباركة وشرعت تفكّر في حلّ مناسب للهرب.

قبيلة أولاد حامد ما فتْت تسابق الأيام في إيجاد مخرج من المعضلة التي وقعت على أم رأسها واهتدت في الأخير لفكرة إبعاد عايش عن النجع ريثما ينتهي عرس العرباوي مع وعد قطعه الشاعر رابح بمحاولة إقناع العرباويّ للعدول عن فكرة الزواج بفجرة لأنه التمس فيه عدم التحمس لهذه الزيجة.

أما شباب القرية فأخذ بمجامعهم اللّهو والعبث تارة ،والتحدث عن أحوال القرية تارة أخرى ومن بين المواضيع موضوع امتعاض العرباويّ من هذه الزواج وخاصّة مع علمه بعدم رغبة فجرة فيه، إلاّ أنّ علجية العورة أمّ العرباوي مصرّة على هذا الزواج لتصاهر أخاها الحفناوي صاحب الجاه والمكانة .

وللقرية طقوس خاصّة في مناسبة عزيزة تحلّ عليهم في فصل الربيع ،وهي طقطيوط وهذه الكلمة مجهول معناها ،واختلف الكثير من أهل القرية في تفسيرها، وكيف خرجت ولكنّهم اتفقوا على الاسم وما يرمي إليه بغض النظر عن المسمى إنّه معنى للبطون الممتلئة، والثغور الباسمة، والتكافل الاجتماعي، والسعادة في هذا اليوم لا تُضاهي يكثر فيها اللبن والسّمن والأقط ... في هذه الأثناء التقى العرباوي بعايش وصرّح أمامه وأمام الجميع من الشّبان – كعادته في التفلسف – أنّه من العبث أن يتزوج شابّ من امرأة لا تحبّه فزرعت هذه الكلمات السكينة في قلب العاشق الولهان .

أما فجرة فجثمت كلّ الخطوب والرزايا فوق قلبها المُعَنَّى وذهبت تجرّ ألمها وحزنها تبثه إلى بئر السْبيل، لإحضار الماء بدلا من أختها مسعودة لعل حبيبها في أفق اللحظات يأتي ويخلّصها من معاناتها ،ويلملم شتاتها . فهاهي فرصتها قد قدحت أمامها ولما لا تحسم أمرها ؟ ففكرت ،وقدّرت ،ثم قرّرت القرار الذي لامناص منه وفعلا فعلتها ويمّمت وجهها إلى نجع أولاد حامد تطوي الطريق طيًّا، يعانقها أمل الوصول للحبيب الذي جبُن، وكان دربها عسيرا، ووصولها مريرا، تحدت وعثاء الطريق، وهوام الليل، وشوك المفازة ،وعندما أوشك الصبح أن يتنفس أدركت النجع المقصود ،والحبيب المنشود ،وبكت المسكينة لحظتها دما وأنّى لها من بعد الفوات البكاء وصرخت صرخة كأن القيامة قد أزفت .

أمّا عائلة الحفناوي وعلى رأسها الأم المسكينة سوده تبحث في كل مكان وترسل ابنتها مسعودة للبحث حتى في الزريبة وتسأل صويحباتها عن باكي، انتفض الحفناوي غاضبا متحديا مهزوما أحيانا شاعرا بالخزي والعار، متوعدا إياها بقطع رأسها لغسل العار الذي أوقعته فيه هذه المصيبة وشرع الحفناوي، وأخوه العيد، والعرباوي، وعامر، وبعض رجال القرية في البحث فأدركوا الطريق بعد أن استعانوا بقائف يتتبعون معه الأثر فجزموا بذهابها إلى نجع أولاد حامد باحثة عن ذلك المشؤوم .

ولما وصلوا صاحوا من بعيد بأهل النجع، فهرعوا لهم زرافات ووحدانا ورحبوا بهم ولكن الأب المكلوم لم يرض بهذا الترحيب وطلب بإعطائه المصيبة التي أهانته وأقسم على قطع رأسها أما الملأ فتفهموا غضبه .ومع ذلك رفضوا تسليمها لأنها استجارت بهم واشترطوا حضور الشيخ حسين أو سيدي لمين أوكلاهما، فقبلوا على مضض أمّا والدها لم يستطع الجلوس أبدا ورحل شابان لإحضارهما ولمّا وصل الشيخ الحسين وقد سمع بالحادثة من طرف المُرسَل في المسجد أوجد حلا يرضي الجميع وما إن حلّ بين ظهرانيهم صاح بأعلى صوته : الحاج الحفناوي على حق وله أن يبرّ بقسمة وهو قطع رأسها. ذهل الحاضرون من قرار الشيخ ومع ذلك أذعنوا وسلّموا و جِيءَ بالفتاة الحائرة العاشقة منكسرة إلى الشيخ وسط الجموع وهمس في أذنها ألا تخافي وان ولا تحزني إنّا رادوه إليك فابشري. ونادى أباها وقال له : برّ بقسمك واقطع رأسها ورأس المرأة شعرها .

أخذ الحفناوي المقصّ وقصّ شعر فجرة وزغردت النّساء، واختلطت الدموع بالزغاريد ووقف الشّيخ حسين شامخا و نادى من يتزوج هذه الفتاة ؟ دفع القوم عايشا ليجيب الشيخ ولكنه شعر بالخجل أمامها لأنّها كسرت الأعراف وأخذت دوره وكانت هي أولى بالرجولة منه ،ومع ذلك أقرّ برغبته .وهنا عقد الشيخ القران وأشهد عليه رجال القبيلتين ،وطلبت الفتاة تأجيل العرس حتى تتعافى وطلب والدها أن يكون الحفل الكبير في بيته وقد وافق عمارة اللّباد والد عايش على مضض.

وفي الطريق أخذ الشيخ حسين يقنع الحاج الحفناوي بعايش بأنه شاب خلوق ولم يتجرأ على خطف البنت ولم يهنْكم رغم أنّه بدوي جلْف وقادر على فعل ذلك والحمد لله أنّ الأمور وصلت لهذا الحدّ ولم تكن أسوأ، وكذا قبيلته لم نر منهم إلاّ ماهو مشرف مذ جاورونا والحاج الحفناوي يهزّ رأسه بالرضا واقترح الحفناوي أن يأتي عايش ليعمل عنده ويطلب رزقه ويأمّن له ولابنته رغد العيش وقد وافق عايش على هذا المقترح وكان صعبا عليه في بداية الأمر إلاّ أنّه تأقلم مع حياته الجديدة وأصبح مساعدا لعامر في كل الأعمال .

أما فجرة فكانت تنتظر أن يطول شعرها الفحمي النّاعم لترقص في عرسها رقصة النخّ وترى حبيبها بجوارها يرقص الزقايري، ويعلن الأفراح واليالي الملاح ببندقية القاربيلا التي يشهد له الجميع بالبراعة وفعلا مرت الأيام متثاقلة وعايش يكدّ ويعمل ليل نهار عند الحاج الحفناوي ليصنع لنفسه اسما محترما بين الشبّان وألا يكون عالة على صهره ،وما إن وصل ذلك اليوم جاء رجال قبيلة نجع أولاد حامد ،ونساؤها للفرح المنشود ،فكان فرحا بنكهة الألم لأنّ الحفل لم يكن في قبيلتهم وقبلوا ذلك على غصّة في الحلق ولكن ولات حين مناص .

وحلّ اليوم الموعود، والفرح المنشود ،وحضر الضيوف وأُعلن بداية الزفاف ؛رقصت فجرة في عرسها ورقص حبيبها، وأطلق للقاربيلا العنان لتدوي في باغام والقرى المجاورة رغم أن حادثا مؤلما وقع لعايش قطع فيه أصابعه الثلاث نتيجة لحشو القارابلا أكثر من اللازم ومع ذلك اجتمع الحبيبان تحت سقف واحد .

- الملائكة .

3. التحليل الأنثربولوجي للرواية :

يحيلنا الكلام السابق حتى يأتي التحليل الأنثروبولوجي مالكا لمقوماته و شروطه إلى لفت الأنظار إلى ما في مضامين الرّوايات من تنوع في الموضوعات و الأحداث و اختلاف في الأهداف وتحديد في الغايات. الأمر الذي يعني أنّ هناك عدة أنواع للرواية , و ثمة لحظة توقف يوجهها التحليل الأنثروبولوجي للأدب عامة وللرواية خاصّة حول المهم في الشأن الروائي تتابع المشاهد ,وهي تعرض لنا صراع القيم باعتباره أحد المتغيرات التي يقدم فيها ومن خلالها الروائي شخصيات الرواية بكل ما تحمله من آراء و أفكار و مواقف وسلوك اجتماعي وثقافي وما تؤول إليه الشخصيات داخل الرواية المتغيرة .

كما تعتبر رواية ليلة هروب فجرة للروائي أحمد زغب خطوة مهمة باتجاه وضع علامات على تاريخ الحياة في المجتمع الجزائري عامة و السوفي خاصة . تاريخنا يقوم على الحدث والفكرة و المكان والمكانة والعقيدة والحوار الداخلي للناس فردا وجماعة ومجتمعا وما بينها من تواصل و اتصال عبر شبكة الخيال الاجتماعي ويصور تصويرا صحيحا وبالغا في الدقة معالم الشخصية القروية، والبدوية السوفية ،ويصف حياتها الثقافية في ضل الاستعمار الفرنسيّ هذا ما يجعل محط دراسة وحقلا خصبا لمجال التحليل الأنثروبولوجي و القصد من هذا التحليل معرفة كيف كانت تجرى الأحداث في المجتمع من خلال الرّواية والصراعات التي كانت آنذاك بين الطوائف المجتمعية و داخل الأسرة والعائلة و ما ينتج عنها من وازع وحدة وانقسام داخل مستويات المجتمع من خلال القرية في الرواية .

1 – المستوى الإنثوغرافي :

إن التعريف بالجانب الإنثوغرافي لأي منطقة هو بمثابة بطاقة تعريف لها . حيث يمكن للباحث الأنثروبولوجي من خلال الإشارة إلى حدود ومعالم المنطقة الجغرافية في الرواية ووصف ثقافة الشعوب من خلال وصف الأمكنة و العمران وتصوير الظاهر من المنطقة المدروسة في الرواية من خلال دراسة رواية " ليلة هروب فجرة " لأحمد زغب تبين لنا أنّ منطقة الرّواية هي منطقة وادي سوف قبل أن تكون مجتمعا و محطّ للسكان هي منطقة صعبة مناخيا نظرا للجو الصحراويّ الذي تمتاز به إلا أنّ الإنسان يكافحه . قد جعل من هذه الرقعة الجغرافية محطّ له و لأحفاده ،فهو قد خلق فيها جملة من الأنشطة الحيوانية التي تضمن سيرورته وتواصله في هذه الحياة و بطبيعة الحال فمادام هناك صلة ترابط ،وتوافق تجمع بين الفرد السوفيّ ومجتمعه لا بد أن ينتج هذا من ثقافة عريقة تعتبر مرآة عاكسة للمجتمع .

العمران : يتضح الجانب التقليدي و البسيط من العمران في منطقة الرواية منطقة " الخبنة " و هي قرية تابعة للرباح وهي حاليا دائرة تبعد عن مدينة الوادي بمسافة 06 كيلومتر جنوبا والتي لا تختلف عن باقي القرى في المنطقة السوفيّة من حيث العمران " الذي عرف مراحل وتطورا تبعا للخصائص الطبيعيّة و البيئية للمنطقة حيث تباينت المواد الأولية للبناء و أخذت أنماطا على حسب ظروف حياة الفرد من :

أ – **مساكن ريفية (داخل الغيطان) :** يقام هذا النوع من المساكن داخل الغيطان أو أطراف الهود وهو للإقامة المؤقتة .

ب – **المساكن الحضارية :**ويشيد هذا النوع من المساكن في تجمعات حول المسجد و تتصف بالتشابه و بئر وحيد يتوسط المكان أو الرّحبة وتتصل فيما بينها في شوارع حلزونية

مليئة بالرمال و يسمى المنزل بوادي سوف الحوش نسبة إلى شساعته و مساحته الداخلية الواسعة .

جـ – <u>مساكن البدو الرحل :</u> عرفت لدى أصحاب الترحال حيث سكنوا الخيمة أو بيت الشعر و كذا العشّة , تكون الخيمة عادة مقسّمة إلى قسمين بحاجز يسمى الحايل و في الليل هناك طية تسدل على بابها تسمى الساتر ،أما عن أرضيتها فتوضع زربية تسمى خبيل وتتميز بألوان حسب القبائل فعند المصاعبة يكون لونها أحمر و عند الشعانبة تكون بنية وخطوطها بيضاء أما عند الربايع فتكون خيمتهم ذات لون أسود[1].

أما البيئة في النص فتنقسم إلى قسمين بيئة حضارية وأخرى بدوية تختلف فيها طبيعة العيش فالبيئة الحضارية هي القرية قرية " الخبنة " تمتاز الحياة في هذه القرية على الحياة البدوية بالزراعة حيث يعتبر سكانها من ملاك النخيل و كذا البيوت الجبسية التي يقطنونها " ((.. قرية النخلة على بعد كيلو مترات و الخبنة أكثر من ذلك بقليل هاتان القريتان زراعيتان تحيط بهما غيطان النخيل من كل ناحية ومعظم قاطنيها من ملاك النخيل ..)) " [2] .

" ((.. و في القرية المجاورة " الخبنة " يستريح الناس من عناء الخريف بعد أن جنوا غلّتهم و وضعوها في صناديق ..)) " [3] .

أما المنطقة الثانية في الرّواية فهي ضمن البيئة البدوية وهي منطقة سكان قرية أولاد حامد البدو الرحل الذين يقيمون في " ربع باغام " القريبة من قرية الخبنة " ((.. الخيام متباعدة والحواجير أمامها متماسكة لدرجة أنها أصبحت تشبه الجدران الأمر الذي

[1] ساكر محمد : العادات والتقاليد في وادي سوف في الفترة مابين 1945 إلى 1962 , مدرية الثقافة لولاية الوادي – الجزائر 2016م ,ص 25.

[2] أحمد زغب : " ليلة هروب فجرة " ص 02.

[3] نفسه،ص3.

يشير إلى أن القوم أطالوا السكن في منطقة " باغام " الرمليّة التي يكثر فيها الخشب و الآبار الرملية القريبة والبعيدة . مياهها غزيرة ..)) " [1] .

حيث تختلف الحياة في هذه المنطقة عنها ففي القرية المجاورة من حيث طريقة العيش والمكان و نوعية المساكن .

اللباس : أما من جانب اللباس فنجد ما يعبر عن الثقافة " القدوارة " (الجبة البيضاء التي تلبس في الصيف) السروال العربي , القشابية (تلبس في الشتاء وهي مصنوعة من الصوف أو الوبر) , البرنوس (يوضع على الأكتاف) مصنوع من الصوف أو الوبر . أيضا عند الرجال كما عند النساء نجد الملحفة (فستان حريري يسبل على الكعبين) الحولي (يلبس فوق الملحفة وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة مخاطة من الجانبين ومفتوحة من الأعلى و الأسفل تمسك من الجهتين فوق الكتف تصل إلى الكعبين) , الحرام (الغطاء الذي يوضع على الرأس و في النص تتخمر باكى بالحرام بعد أن أصرت على قياسه ولبس الحرام ليس كلبس الفستان يتطلب مهارة .....) " [2] .

أما في منطقة البدو فلا يختلف الأمر كثيرا إلى بعض بالنسبة للرجال كالعمامة والسروال الأسود المميز بخطوط على جانبين " ((.. اشترى البدلة الأنيقة العمامة والسروال الأسود القاتم المزدان بخطوط بيضاء على الجانبين والسترة كالبيضاء ..)). " [3]

ومثلما يعتبر اللباس عنوانا للثقافة فهذا ينطبق على الأكل حيث يعتبر عنوانا لنوعية الثقافة التي يتمتع بها أي شعب

---

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة ،ص02

[2] نفسه .ص 04.

[3] نفسه : ص 07.

الأكلات الشعبية (الطعام) : نجد من المأكولات في النص طبق الكسكسي و الذي يعد بصفة خاصة في المناسبات كالأعراس " ((..حضرت جفان الكسكسي وتحلق الناس حولها حلقات من خمس رجال , وأخذت الأيدي تصعد وتنزل بالملاعق ..)) " [1] .

و(المطابيق) هي أكلة تعد من عجينة السميد الذي يصنع منه خبز يوضع على شكل طبقتين داخلهما مجموعة من الخضر " ((..تناول عايش لقمة المطابيق ورفض أن يستلم النقود مقابلة الخدمة في غرسات نخيل الجامع ..)) " [2].

كما نجد أطباق خاصة بمناسبات معينة مثل " التاقطيوط " و هي أكلة تعد في مناسبة التاقطيوط الموسمية التي تسمى باسم هذه الأكلة و هي مكونة من (الكسرة) وهي الخبز ودبس التمر يعد هذا الطبق خاصة في أيام الربيع الأولى " ((..تعود آباؤنا أن يكون التاقطيوط مرفقا بالرفيس من فُتاة الكسرة ودبس التمر حتى تحلو السنة القادمة..)) " [3] ومن المشروبات نجد الشاي كمشروب أساسي في الحفلات والمناسبات وحتى في الأيام العادية " ((.. العرباوي لا يحسن تحضير الشاي وتوزيعه على من يستحقه ..)) ".[4]

" ((.. يقولون له متهكمين إن الطّهي من أعمال المرأة لكن للشاي حكم آخر..)) ".[5]

---

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة: ص 19.

[2] نفسه . ص 15

3 نفسه، ، ص 74.

4 نفسه : ص 03.

5 نفسه : ص 04.

مظاهر التحظر : إن التعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية والثقافية والطبيعية يقوم على قاعدة التفاعل المستمر ويلاحظ أن هذه العلاقات تفرضها عليه ثقافة في المقابل يفرض الإنسان ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة ومن خلال هذا التفاعل يحدث التغيير وهناك كالعديد من العوامل المسببة للتغيير الثقافي و الاجتماعي وأهمها تلك الناتجة عن النشاط الإنساني مثل التكنولوجيا ومن أهم الوسائل التكنولوجية التي ظهرت ودخلت على مجتمع الرواية سيارة الجيب والكاميرا (آلة التصوير) " ((... وصلت سيارة الجيب يقودها احد العناصر وحملت عايش إلى المستشفى العسكري ...)) " [1] .

ونجد اللباس المدني والنظارة كمظهر جديد على الثقافة التقليدية في القرية مثل ((.. فحضر أحد العسكريين الأوروبيين بلباس مدني يضع برنيطة ونظارة سوداء على عينيه لاتقاء أشعة الشمس ويحمل آلة تصوير ....)) " [2] .

ومن بين مظاهر التحضر نجد أيضا ظاهرة تسجيل الألقاب " ((.. هكذا كان اللفظ بين السكان البسطاء , عن تسجيل الألقاب والحالة المدنية للسكان بعد أكثر من سنتين عن صدور القانون الفرنسي عام 1883 ...)) " [3] .

بالإضافة إلى مجموعة من الظواهر التي تعتبر غير معتادة اجتماعيا مثل هروب الفتاة مع الشاب الذي تريد الزواج منه من خروج عن أعراف القبيلة وكسر لقيود المجتمع الذي يعتبر هذا الأمر غاية في الانحلال الخلقي ويصل فيه العقاب

1. أحمد زغب : ليلة هروب فجرة ص 119.

2 نفسه ، ص 118.

3 نفسه : ص 43.

في العرف إلى القتل " (.. فجرة تريد رفع الغبن عن كل النساء بإمساكها زمام أمرها بيدها وحسم مصيرها..)) "[1].

1.الحياة الاجتماعية :

تعد الحياة الاجتماعية لأي مجتمع نسيجا متكاملا من الأفكار والنظم و السلوكات التي لا يجوز الفصل فيما بينها باعتبارها تشكل التركيبة الثقافية في المجتمع إلى درجة تحدد مستوى تطوره الحضاري .

من بين أهم الأنظمة الاجتماعية نظام القرابة فلا يوجد مجتمع بلا نظام تحدد فيه العلاقات القرابية بين الأفراد و بالنسبة لمجتمع الرواية نجد فيه العلاقات القرابية بين الأفراد و بالنسبة لمجتمع الرواية نجد نظام القرابة متمثل في صورة العلاقة بين الأب والأبناء , فنجدها قوية ومتماسكة رغم بعض مظاهر عدم التواصل و الحوار خاصة بين الأب و الأبناء , حيث نادرا ما يجمع بينهم حديث ويتضح أنّ الأب في الأسرة (أسرة الشخصيات الرئيسية) الأب الحفناوي صارم في تعامله مع أبنائه " ((.. هيا أرعي تحركي ... هكذا تكلم الحفناوي بصرامته المعهودة ثم انصرف خارجا ..)) "[2].

وفي مقابل هذا نجده متسامحا مع هذه الفتاة خاصة بعد هروبها من بيت العائلة متجهة نحو الرجل الذي تريد الزواج به .

كما نجد علاقة متينة بين الأم والأخت عند العائلة البدوية حيث تلعب الأخت عيشة دورا مهما في مساعدة أخيها العايش في التواصل مع حبيبته وكذا الحصول على مبتغاه

1 أحمد زغب : ليلة هروب فجرة: ص 95.

2 نفسه، ,ص 06.

وخطف الفتاة رغما عن والديها ((.. أحضرت إليه شقيقته الغذاء ... شقيقته عيشة جريئة وذكية .. وهي بطبيعة الحال تدرك ما يعانيه شقيقها..))[1]

كما نجد الأخت تحاول إبقاء العلاقة قوية داخل العائلة عن طريق المصاهرة فنجد أخت الحاج الحفناوي تحاول التقرب من أخيها من خلال خطبة ابنته باكى إلى ابنها العرباوي ((...الأم تضغط حتى تتقرب أكثر فأكثر من شقيقها صاحب المكانة الرفيعة في البلدة))[2].وهذا نوع من أنواع الزواج الانضوائي (الداخلي) ((يحسبون أن المصاهرة باستمرار في العلاقة)).[3]

أ.النظام الأسري .

يظهر بوضوح في الرّواية طبيعة النظام الأسريّ الذي يعتبر نظام باترياكي.وذكوري يهيمن فيه الذكر على الأنثى , فتجد الرجل في مجتمع الرواية غالبا ما يكون صاحب جميع القرارات خاصّة تلك المتعلقة بحياة المرأة سواء أكانت زوجة أو بنتا أو أما , ((.. لم يكن الرجال يعبثون بإرادة المرأة الشابة في هذا الأمر بالذات وهاهو والدي الحاج الحفناوي واحد منهم..))[4]

كما نرى صورة الوالد المتجبر والظالم ((...وهي الآن بين نارين نار الموت ونار الاستسلام لجبروت الظلم الأبوي البغيض .....))[5] حيث لا نجد رأيا للمرأة في البيت إلا للأب ((...ولكنها سلطة الأب الحاج الحفناوي المعروف بتسلطه على البيت خاصّة فلا رأي لأحد في شيء , بل تمتد سلطته إلى القرية أيضا في كثير من شؤونها بقوة النفوذ

---

[1] أحمد زغب مبادئ الأنثروبولوجيا ص66

2 نفسه،ص53

3 نفسه،ص66

4نفس ، ص 61

5 نفسه،ص81

الاقتصادي والتجاري..))[1] كما تعد هاته الظاهرة ظاهرة التسلط على المرأة متجذرة في الثقافة المحلية منذ القدم ((.. لم يكن الناس قديما يقيمون وزنا للمرأة فقد كانت تؤخذ عَنوة من مرابع قومها..))

أما بالنسبة لنظام الزواج فالواضح أن النظام هو داخلي إنضوائي الذي يعد قيمة مهمة من قيم المجتمع والتي تكرس العلاقة الداخلية بين أفراد القبيلة الواحدة مما يكتب لها الاستمرار والتصاهر الداخلي بين أبناء العمومة يوطّد العلاقة واللحمة في وجه القبيلة ،وفي وجه الأعداء وهذا واضح في الرواية من خلال مشهد العمّة التي تريد خطبة ابنة أخيها لابنها من أجل زيادة توطيد العلاقة مع أخيها ((...يحسبون المصاهرة استمرار في العلاقة الأسريّة التي تربطهم وتوطيدا لها.. الأم تضغط حتى تتقرب أكثر فأكثر من شقيقها صاحب المكانة الرفيعة في البلدة وهي على صواب نحن نعذرها...))[2]

ب.العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع :

إن الهوية الاجتماعية هي جزء من مفهوم الذات للفرد فهو يستمد عضويته في مجموعة اجتماعية معينة إذ أن مفهوم الشخص لذاته ينبثق من انتمائه للمجموعات إذ ليس للإنسان هوية واحدة بل هويات متعددة بتعدد المجموعات التي ينتمي إليها بالتالي فهو سيقوم بسلوكياته بشكل مختلف في كل مجموعة بناء على ما تتطلبه قيم هذه المجموعة أما العلاقة بين الأفراد في مجتمع الرواية فهي لا تختلف عن أي مجتمع آخر عربي و إسلامي باعتبار مجتمع الرواية مجتمعا ينتمي إلى الهوية العربية و الإسلامية فنجد التكافل الاجتماعي حاضرا خاصّة عند البدو الذين يظهرون علاقة متينة تربطهم عند الشدائد . فنرى الموقف الذي أظهره شبان القرية اتجاه عايش عندما أراد خطف الفتاة فجرة وكذلك الأمر عند رجال البدو، و الذين وقفوا وقفة رجل واحد إلى جانب ابنهم عايش وهموا إلى القرية لطلب يد الفتاة إضافة إلى روح التآزر والتعاون التي تظهر بقوة في مجتمع البدو حيث نجد الشبان يقفزون

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة ،ص 61

[2] نفسه ،ص 08

لمساعدة الرعاة عند عودتهم "... كان موعد عودة الرجال من المراتع القريبة وكان على الشبان أن يبادروا إلى مساعدتهم في جلب المياه للسقاية... وصغار الخرفان . ومساعدة النساء في جمع الحطب.."[1]

و في المقابل نجد صورة للطبقية والتمييز الاجتماعي من خلال النظرة العنصرية التي يرى بها أهل القرية البدويين, فهم يرون أنفسهم أعلي منزلة وأرقى من البدويين الرعاة وأنهم لا يصلحون سوى لرعي الغنم والرّقص والغناء وإحياء الحفلات لذا لا يقبلون أن تربطهم علاقة بالبدو ولا سيما علاقة المصاهرة حيث لا يحبذ القرويون زواج بناتهم لأي شابّ بدويّ، وهذا ما جعل الشابّ عايش يفكر في الطرق غير مقبولة اجتماعيا في الزواج بالفتاة نظرا لأن الطرق الشرعيّة غير مجدية "...ليسمحوا لشاب بدوي من خارج مرابع القبيلة أن يتزوج من عايش لذلك قام بالمغامرة التي كانت ستكلفه حياته لو انتبه إليه فرسان القبيلة ..."[2]

ج.القيم الاجتماعية :

القيم الاجتماعية هي تلك المبادئ والمعايير مسلمة بين جميع أفراد المجتمع أو غالبيتهم تحدد سلوكا معينا , سليما , محترما , مؤدبا , مثيرا للإعجاب ... أو بالعكس كأن يكون سيئا غير مؤدب، أنانيا موجبا للتوبيخ .. الخ وهذه المعايير تختلف من مجتمع إلى آخر وخاصة من ثقافة إلى أخرى والقيم تستمد من الدين والقوانين الوضعية التي يسنّها البشر لصالح مجتمعاتهم، والعرف الموروث الشعبي المتداول عبر الأجيال وهذه القيم متغيرة حسب سلم ينظم علاقاتها وأولوياتها . ونشاهد في الرّواية مجموعة من المحطّات التي تدل على تماسك المجتمع وتمسكه بالقيم , وتعدّ قيمة الشّرف من القيم العليا في مجتمع القرية كما تخبرنا الرواية في موقف والد فجرة من الفعل الذي قامت به ابنته من التطاول على شرف العائلة، ودلالة على نموذج من قيم القرية، وما يترتب عليها من معان ودلالات،

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة ،ص 11

[2] نفسه،ص20.

تؤشر بوضوح لا لبس فيه عن معالم الشخصية القروية ،وعن معنى الرّجولة ،وارتباطها بقيمة الشرف ،لأنها تمارس وظيفتها كمحدد ثقافي : الحلال والحرام وما يترتب عنهما من ثواب وعقاب والواجب والآداب العامة .

إضافة إلى قيم أخرى مثل قيمة الشّهامة والبطولة عند البدو فنجد في الرّواية (... البدوي شهم لا يمكن أن يتقدم لأية فتاة مهما كانت إذا قرّ في ذهنه أنّها ترغب في غيره .....")[1]

"(.... و إنما الرّجل هو الذي يأخذ حقّه بشجاعته وحبّه للمغامرة .....")[2]

كما نجد بعض القيم المتعلقة بالسلوك الاجتماعي التي تحدد من قبل المجتمع بما هو محبّب أو غير محبّب ومثال هذا في الرّواية هو منطق عدم خروج الفتاة لوحدها ليلا لما فيه من شبهة للفتاة إلا إذا رافقها أحد محارمها حتى ولو كان طفلا صغيرا ("..... فالذهاب في الليل فيه شبهة للفتاة البدويّة .....")[3]

د.الأعراف :

قواعد في السلوك يكتبها الفرد بالتقليد ،وهي عبارة عن عادات اجتماعية لها صفة الإلزام، فنلاحظ التقارب الشديد بين مصطلحي عادة اجتماعيّة وعرف اجتماعيّ غير أن العادة أشمل من العرف ؛إذ ليست كل العادات قواعد للسلوك، فالعرف عادة اجتماعية مفروضة بقوة الوعيّ الجمعيّ كما أنّ العرف يشبه الإصلاح غير أنه إصلاح ضمني، فالعرف عبارة عن قانون اجتماعي يحكم على نمط اجتماعي معين على أنّه جيد أو سيئ

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص 39

[2] نفسه، ص 91

[3] نفسه، ص 22

تعتبر الأعراف جزءًا من التقاليد تفرض من قبل المجتمع الذي يرفض أي خروج عنها، وفي مجتمع الرّواية تجد مجموعة من الأعراف الأصيلة في المجتمع السوفي مثل العرف الذي يقضي بعدم خروج الفتاة دون علم أهلها وكذلك يجب عليها الخروج بمرافقة أحد محارمها .

فهروب الفتاة فجرة من منزل والدها إلى منزل الرجل الذي ترغب في الزواج به دون موافقة أهلها هو انتهاك للعرف، وتمرّد على جميع القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية، بل هو إهانة لها، ولعائلتها ويعتبر جريمة في حق الشّرف و الأصول التي ينصّ عليها المجتمع، وقد تصل عقوبة هذا الفعل الشنيع إلى القتل من طرف والدها أو أفراد عائلتها لما له من انتهاك لقوانين العرف الاجتماعي والتي تعتبر مقدسة ولا يجوز لأحد المساس بها والتطاول بالخروج عنها .

فنرى في الرّواية المشهد الذي يتحسر فيه أفراد العائلة ،والحيرة الكبيرة التي يواجهها والدها لعدم مقدرته على إصلاح فعلة ابنته، إضافة إلى إقرار الجميع بفداحة الأمر فيقول والد عايش ،وهو والد الشاب الذي أرادت الفتاة فجرة الزواج به وهربت إليه دون علم أهلها(..: لقد انتهكت الفتاة جميع الأعراف القبليّة والبدويّة على السّواء ونقرّ لكم بجرمها الكبير ...)"[1]

(... لقد فاجأتنا البنت المشؤومة فجرة بما ينتهك جميع الأعراف التي تعودناها ....")[2]

هـ.الظواهر الاجتماعية :

نشاهد في الرّواية مجموعة معتبرة من الظواهر التي تعتبر غريبة وغير منطقية، مقارنة بالعادات والقيم والمعتقدات والقواعد التي ينصّ عليها الدين , فهناك ظاهرة خطف الفتيات حيث يقوم الشّاب بأخذ الفتاة عَنوة من بيت أهلها لغرض الزواج بها، إذا كان هناك مانع يقف أمامه من خطبتها خطبة شرعية فيقوم باختطافها خلسة بغض النظر عن موافقتها

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص 90

[2] نفسه، ص 91

بالزواج به أو موافقة الأهل ،وتكون العملية بمساعدة مجموعة من رفاقه عن طريق التخطيط و إخلاء الجو للشاب الذي يقوم بالخطف، وتتضح هذه الظاهرة في عدة مشاهد في الرّواية من بينها المشهد الذي أقدم فيه العم رابح على هذه الفعلة من قبل حيث قام بخطف فتاة لم يكن أهله ليسمحوا له بالزواج منها ،وهو نفس السبب الذي يدفع الشاب عايش للتفكير في هذا الأمر حيث يروي رابح الشاعر مغامراته للقيام بذلك ،ولقد أقدم على الأمر بالفعل حيث قام بخطف الفتاة والزواج منها فنجد دليل ذلك في الرّواية في قول رابح الشاعر(...وقد حدثنا الكبار من قومنا إنّ رجالا كثيرين من قبائل أخرى أقدموا على تهريب فتيات بادلوهن مشاعر الحبّ حيث سدّت السبل في وجوههم للبناء بهنّ بالطريقة المقبولة اجتماعيا .....)"[1]

وكما نجد رفاق عايش يقترحون عليه الهروب بالفتاة فيقول أحد رفاقه :(".... لكنها مشكلة حتى لو نجحت ،فالجميع مسّهم بالفعل ومن حقه المطالبة بصفه .... في النتيجة ..!!! لقد اقترحوا عليه أن يهبوا معه إلى القرية تحت جنح الظلام ويساعدوه على خطفها والهروب بها إلى نجعهم ....")[2]

ونعود إلى الرّواية لنلمح ظاهرة أخرى متفشية بشكل كبير متمثلة في الطبقية ،والازدراء والنظر باحتقار إلى الآخر، ونبذ الغير من خلال النظرة الفوقيّة التي ينظر بها القرويون لجيرانهم من البدو حيث يتعرض البدو لجميع أنواع لإهانات والازدراء، والتملق من قبل القرويين ؛إذ لا يمكن لأيّ بدوي أن يتقدّم لخطبة فتاة قرويّة أو حتى مجرد التفكير في ذلك ،فهم يرون أن البدو لا يصلحون إلا للرعيّ وإحياء الحفلات باعتبار أهل القرية ملاّك للنخيل و أغنياء. بينما البدو فقراء لا يملكون سوى أغنامهم هذا ما يجعلهم ينظرون إليهم عل ويخجلون من مصاهرتهم .

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص 35

[2] نفسه، ص 38

كما نجد ظاهرة العصبيّة القبليّة و التناحر بين القبائل ،وهذه الميزة التي تعبّر على الشخصيّة البدويّة بامتياز وتعبّر عن قوة ووحدة الجماعة تشكل بالإضافة إلى صفة البطولة والشهامة وكرم الإنسان البدويّ وتحدّد ملامحه ومعالمه البيئية ،وتظهر العصبيّة في مواطن عدة منها الموقف الذي أظهره أهل البادية في فرض ذواتهم وحدة اجتماعية واحدة حرصا على رد الاعتبار لابنهم عايش ،وخوض غمار التجربة التي بدت فاشلة قبل الإقدام عليها ؛ غير أن روح الانتماء إلى القبيلة جعلت الجميع لا يعبأ بالإهانة التي يفرزها الرّفض، رفض المصاهرة رغم نظرة الاحتقار التي يبادلها القرويون لهم "(..الأعراف و التعصب القبلي لن تقف مانعا أمام حبّه لفجرة .....") [1] ("..... ستتحول المصاهرة .... والقرابة .... سيصبحون أخوالا لأبنائنا وبما أننا بدو ونعتد بأنفسنا إلى حد الغرور تشرفهم المصاهرة مثلما تشرفنا ...")[2]

وظاهرة اللمز بالألقاب واستعمال كنيات لمناداة الأشخاص غالبا ما تكون غير محبّبة لديهم " لماذا اللكاعة بالذات ألا يمكن أن يسمى اسما مستحبا(من حسن حظنا جدنا يحمل لكاعة مقبولة ....." "..... مجتمعنا يميل إلى الحطّ من شأن الآخر فنادرا ما نجد شخصا لا يحمل لقبا يلمزه .....") [3]

و.مظاهر الضبط الاجتماعي :

من المعروف أن من طبيعة النفس البشرية التأثر بالغرائز التي تسيطر على سلوك الإنسان وتؤدي به إلى الانحراف إذ لم يجد من الوازع ما يضبط سلوكه ،والآلية التي تحقق الرقابة على الفرد والمجتمع من أجل ضمان استقرار المجتمع، واستمرار الجماعة الشعبية

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة ،ص 29

[2] نفسه ص 35

[3] نفسه ص 47

،هذا ما يسمى بعملية الضبط الاجتماعي وهي من الأساليب والوسائل التي تهدف إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد من أجل إشباع الحاجات الأساسيّة للفرد والمجتمع دون أن يعدو بعضهم على بعض ،ولذا فإنّ له دورا فعالا في تنظيم المجتمع وضمان تماسكه .

وعند تصفحنا للرواية تستوقفنا العديد من المشاهد التي تحمل أوجه عدة من وسائل المجتمع في الضبط والسيطرة على سلوك الفرد ،وأهم هذه الوسائل هي النقد اللاذع الذي يتعرض له الشخص حين يسلك سلوكا منافيا للقوانين المنصوص عليها اجتماعيا. فنجد الشّاب العرباويّ يتعرض للنقد، و التهكم بسبب عدم إتقانه لمسك البارود , ولأنّه يحبّ تحضير الشاي فيقال له :إنّ الشاي من أعمال المرأة ،وكذلك حين يقول : أن في صلاة الجماعة استرضاء للنّاس وليس استرضاء لله ،فنجده يقول :هذا على سبيل المزاح لخوفه من التعرض للتوبيخ ،ويتهم بالكفر والزندقة , وكذلك والدة فجرة حين تجمّعت عندها النّسوة بعد هروب ابنتها مدعيين مواساتها، لكنهنّ كنّ يوجّهن لها الأحكام القاسيّة ،وجميع أنواع التوبيخ ،لأنّها لم تستطع السيطرة على البنت وهذا بطريقة غير مباشرة والتي تعدّ طريقة المجتمع في الضغط والمحافظة على العادات والتقاليد المنصوص عليها .

ونجد أن الفتاة فجرة التي أعجبت بشابّ بدوي تواجه النقد لهذا السبب فيحاول ابن عمتها العرباوي أن يوضح لها في أبيات شعرية بأنّها إذا تزوجت من شاب خارج قبيلتها فسوف تقلل من شأنها، لأن قيمة الفتاة لا يعرفها سوى قومها وإذا تزوجت خارجها فلن يعيرها الآخرون أي اهتمام مهما كانت جميلة فيقول "(.... العرس يبغي الدويلة والخيل تبغي المشالي .... واللي خرج من القبيلة يرخص إذا كان غالي ....")[1]ويتعرض والدها أيضا إلى النقد واللوم الشديد لنفس السبب، رغم أنه لم يقترف الفعلة، بل كانت تهورا من ابنته , فهو يواجه وابلا من الانتقاد اللاذع لهول الفعل في نظر المجتمع، لأنهم يعتبرون الأمر جريمة شنيعة في حق كل القبيلة وتمرد على قيمها وأعرافها .

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة ،ص 26

إضافة إلى وسيلة النقد يستعمل المجتمع في الضبط الاجتماعي وسائل أخرى مثل الامتناع عن مخالطة الشخص والإحجام عن الحديث والتواصل معه كعقاب له على عدم الالتزام بالقيم والقواعد الاجتماعية.

ز,التغير الإجتماعي :

تتميز التركيبة الاجتماعية بخاصية التغير وعدم الثبات يدل التغير الاجتماعي في الرواية على مرور القرية السّوفية منطقة (الرواية)بمرحلة انتقالية غير مستقرّة ويفرض هذا التغيير التنوع في الأشكال والمضامين.

نلمح صفة التغير الاجتماعي في التمرد على القيم من طرف الفتاة فجرة التي فرت هاربة من بيت والدها على علم بأن هذا الفعل يعتبر جرما كبيرا في حق الأعراف , وكذلك في شخصية الفتاة طمطم التي تعتبر ناقمة على المجتمع الذكوري تحمل في التناقض في تلك الشخصية شخصية الفتاة الذكورية التي تتظاهر بكونها رجلا عدة معاني منها معنى التسلط والتجبر الذي تتعرض له الفتاة في المجتمع الباترياكي ،حيث الغلبة للرجل فتظهر الفتاة المسترجلة طمطم في شخصية رافضة لجميع القيم داعية للتحرر والتغير الاجتماعي، حيث تحث الفتاة فجرة وتحرّضها على الهروب وفرض الفتاة لنفسها ،ولمكانتها بين المجتمع ،وحسم مصيرها وتغيير حياتها بيدها والزواج بالشخص الذي ترغبه، وهنا يتمظهر التغيير جليا في تملص الفتاة عن القيم وأخذ زمام أمرها بيدها فتعد فجرة أول فتاة تهرب إلى الرّجل الذي ترغب فيه في مجتمع لا يعترف إلا بالرّجل و قلبت قوانين البادية وعوض أن يختطفها البدوي كما يفعلون عادة جبن هو وانتظر أن تعمد هي إلى النجع وتختطفه وكانت فجرة بدعا من أمرها فتعد فجرة أول فتاة قروية من عائلة غنية تهرب إلى شاب بدوي , يقول الشيخ حسين مستغربا في فعلتها ومستنكرا لها

("....أين الفتاة المتمردة عن سلطة أبيها؟ ..... ينبغي أن يحضر عدد كبير من رجال ونساء النجع حتى يشهد الجميع هذا الحدث الذي لم يكن له نظير فيما عشنا وسمعنا من أخبار أسلافنا .....)[1]

2.المستوى الثقافي :

تساهم الثقافة في التنشئة الاجتماعية بإضفاء ما فيها من قيم وأعراف وعادات وتقاليد ومعتقدات، لأنّ الثقافة مشكّلة من مجموعة من الأفكار والأعمال والأنشطة التي تتبع عن المجتمع جيلا بعد جيل، وتلبسها ثوبا اجتماعيا لا تغيره وتبدله في الشكل والصفة، إنما تتجاوزها في المضمون ومن بين أهم مقوّمات والركائز التي تقف عليها الثقافة هي الدين .

أ.الدين : [2]

يعتبر الدين من أقوى النظم الاجتماعية، فهو يقوم على علاقة الإنسان بكائنات ما ورائية وما فوق طبيعيّة يؤمن بها ويبعدها عن طريق وسطاء يمثلونها والدين نسق سلوكي وعقائدي و قانون أخلاقي .

تظهر ملامح الدين في العديد من محطات الرواية وهذا طبيعي نظرا لأنه مجتمع إسلامي فتظهر ملامح الدين الإسلامي في كل تصرفات الشخوص في الرواية، وفي حديثهم وفي أفعالهم وحياتهم اليومية، لأن الدين من أهم مقومات الجماعة الشعبية فهو يتضمن القواعد و الشرائع التي تنظم حياة الجماعة بالإضافة إلى أنه يخلق تماسكا قويا بين الأفراد فنجد الكتاب في القرية كأكثر مكانا يوضح اللحمة وروح الجماعة والتمسك القوي بكل ما يمثل العقيدة الإسلامية فلا نجد طفلا صغيرا إلا و قد دخل الكتاب ،وحفظ مجموعة من السور من القرآن الكريم و " الكتاب "في القرية هو مكان لحفظ القرآن الكريم، وتلاوته نجده مكتظا بالتلاميذ من مختلف الأعمار .

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص 98 – 99

[2] ينظر: أحمد زغب ،مبادئ الأثربولوجيا، ص67،68.

ويتجلى التمسك بالدين والاتصال بالمولى عز وجل جليا من بداية الرواية إلى نهايتها من خلال الأدعية والذكر التي لا تكاد تفارق الألسنة وخصوصا عند المصائب إضافة إلى التزام الصلوات من طرف كبار السن خصوصا , ويدخل الدين في ممارسات الحياة اليومية فعند البدء بأي شيء لابد من ذكر اسم الله وهذا من طبيعة المجتمعات التقليدية البسيطة إذ أن الوعي الجمعي قوي يردع الفرد عن اقتراف الخطايا، فنجد الحاج الحفناوي كثيرا ما يحوقل ويستغفر عند مصيبته، وعند صمته يحثه الجماعة من حوله على مواصلة الدعاء لأنه يصرف عنه الشيطان , والاستعانة بالشيخ في حلّ المسائل وكتابة التعاويذ استشارته في جميع الأعمال وقبل الإقدام على أي أمر خاصة إذا كان مصيريا، حيث رأينا الحاج الحفناوي يأخذ معه الشيخ حسين عند رغبته في استعادة ابنته الهاربة ،وطلب من الشيخ الفصل في أمر الفتاة والحكم عليها بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية ،ورفض البدويون تسليم الفتاة إلا للشيخ لاعتبارها أمانة في أعناقهم، و لابد من تسليمها إلا في يد الشيخ لضمان سلامتها، و إصرار الحاج الحفناوي على البرّ بقسمه الذي أطلقه بأن يقطع رأس ابنته التي لطخت شرفه ،وجعلت رأسه في التراب . يدل على تمسك كبير بتعاليم الدين فالقسم هو عهد أمام الله بفعل ذلك الشيء الذي ذكره فلا بد له من الالتزام بذلك القسم، وتنفيذه لأنه لا يمكن الاستهانة بشيء كهذا وهو الحلف باسم الله على الإقدام بأمر معين، فنجد الشيخ حسين حينها يحرص على بر الشيخ الحفناوي بقسمه فيقترح عليه قطع خصلة من شعرها باعتبار الشعر هو رأس الفتاة فيكون بذلك قد بر بالقسم .

وكذلك حرص والدة فجرة على قيامها بالصلوات في وقتها و النهوض باكرا لأداء صلاة الفجر والدعاء، و الابتهال إلى المولى عز وجل عند حدوث أمر عسير .

وفي مقابل هذه الشواهد التي تدل على تمسك كبير بالدين، وتعاليمه تقابلنا مشاهد تدل على تصرفات منافية لذلك لكن الجماعة الشعبية تعتقد بصحتها وتعتبر دين شعبي في مقابل الدين الرسمي ومن بين هذه التصرفات دعاء الأولياء الصالحين و الاستنجاد بهم

والاعتقاد بأن الأولياء سيهبون لنجدتهم ويستجيبون لدعائهم بقضاء حوائجهم ،وهذا الأمر يعتبر منافيا للدين لأن الدين الإسلامي ينصّ على توحيد الله عز وجل ،و إفراد الدعاء له والإخلاص فيه .

كما نلاحظ النسوة يقبلن على طلب التعويذات التي يكتبها الشيخ حسين طالب الجامع لاعتقادهن أن فيها شفاء للأمراض ،وبما فيها من طرد للأرواح الشريرة ،والحسد والشرور مقابل حبّات من البيض أو زوج من فراخ الحمام وما إلى ذلك .....

كما يلفت انتباهنا العرباوي بفلسفته الخاصة في الاعتقاد بأن في صلاة الجماعة إرضاء للناس وليس لله لكنه يسوق العبارة بنوع من الدعابة والمزاح خوفا من ردع الجماعة له وحكمهم عليه بشدة إذ صوغ لهم أنه يستنكر الصلاة في الجامع فهذا الأمر قدسي ،ولا يحق لأحد الإفتاء فيه إلا إذا كان كافرا بالله عز وجل .

ب.المعتقدات :

المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها , فبعد تلك المواجهة الداخلية مع القدسي في أعماق النفس يتدخل عقل الإنسان من أجل صياغة المفاهيم التي من شأنها إسقاط التجربة الداخلية على العالم الخارجي وهنا يتم خلق شخصيات معنوية وقوى تستقطب الإحساس بالمقدس وبذلك تتكون الصيغ الأولية للمعتقدات [1]

والمعتقدات الشعبية كثيرا ما تعود إلى جذور دينية سواء أكان الدين رسميا ،أو شعبيا معترفا به اجتماعيا أو عكس ذلك من الديانات القديمة التي انهارت و اضمحلت وبقيت المعتقدات تمثل رواسب ثقافية لهذه الحضارات , فالمعتقد الشعبي كل ما يؤمن به الفرد فيما يتعلق بالعالم الخارجي و الفرق طبيعي كما يعود إلى تطورات عن أسرار بعض الظواهر

[1] ينظر أحمد زغب مبادئ الأثروبولوجيا ص 74

الطبيعية كتصورات الناس حول البرق و المطر والرعد والزلازل .. الخ أو الأمور النفسية كالأحلام والموت والنوم والبلاء ورؤية المستقبل [1]

فنجد من المعتقدات التي تستمد من الدين والاعتقاد بكرامة الأولياء حيث تلجأ والدة فجرة إلى دعوة الأولياء الصالحين لإيمانها بقدرتهم على الاستجابة لها ،وأصحاب الحاجات لقضاء حاجاتهم , و إذا كان الولي صاحب البركة يهب لنجدة المستغيثين به فإنه ينتقم ممن آذاه وطعن في ولايته وكفر ببركاته لذا يشيع الاعتقاد بأن أولياء الله الصالحين كلهم قلب واحد ولا مفاضلة بينهم .

كما نلمح بعض المعتقدات المستمدة من الواقع والتي تعتبر نوعا من السحر الاتصالي مثل الاعتقاد والتفاؤل بالأسماء فيطلق اسما مباركا على الفتى لكي تحيط به البركة، مثلا فنجد والدة عايش تسمي أبنائها بأسماء تدل على الحياة و العيش لكي يكونوا من طوال العمر ،ويعيشون طويلا نظرا لأن إخوتهم من قبل كانوا يفقدون الحياة في سن مبكرة أي بعد الولادة مباشرة ،و اعتقادا منها بأن الاسم هو الذي يحمي المولود فسمت ابنها عايش و ابنتها عيشة لكي يعيشوا طويلا .

ومن المعتقدات المشابهة اعتقاد أهل البدو بأن طهي الأطعمة الحلوة من الأكلات الشعبية ينعكس عليهم بالحلاوة في الحياة أيضا ويحلي مرارة الأيام ويبعد الجفاف ،و القحط فهم يعدون حلوى الرفيس من التمر والسّمن تفاؤلا بالسنة المقبلة ويكثر خيرها .

ج.الآداب والفنون :

الفن ظاهرة أنثروبولوجية وجدت مع الإنسان حيث وجد، و تستمر معه أينما حل , ويتواصل بواسطتها الإنسان مع جيله أو الأجيال اللاحقة وهو العمل الإنساني الوحيد القابل للخلود كما أنّه العمل الذي أثبت أن الشعوب البدائية و التقليدية ليست أدنى من الشعوب

[1] بنظر : أحمد زغب الفلكلور ص 33

المتحضرة ،لأنها تفوقت عليها في كثير من الفنون كما أنّ للفنون ارتباطا بالدين، فلا طالما كانت وسيلة للاستلهام العون من العالم الروحاني، ويتفق الأنثروبولوجيون على أنّ للفن وظيفة شعرية حيث يتصور للفنان القبض على ذلك الشيء الذي رسمه سواء كان ذلك بالرّسم أو الشعر أو الغناء أو الموسيقى [1]

و في الرّواية شذرات لاستعمال الأدب كالشعر ،و الأمثال والغناء ،وهي أشكال تعبيرية لا يخلو منها مجتمع سواء كان تقليديا أو متحضرا أو متمدنا فمن الشعر الشعبي نجد الرداسي والوقف والمزيود وهي الأنواع من الشعر التي يركز فيها المؤدي على الكلمة الشعرية المعبرة والمهيجة للمشاعر والمحركة للأحاسيس و المنشطة للأخيلة والرداسي الذي يستوجب حفظ الطالع في المرة الأولى والاكتفاء بترديده كلازمة بين كل دور ودور و القسيم الذي يتكون من قافية موحدة في الصدر وأخرى في العجز يلتزم بها الشاعر إلى آخر القصيدة مثال ذلك في الرواية هذه الأبيات المخلدة التي ينشدها الشاعر رابح في حادثة خطفه لفتاة وأراد من هذه الأبيات طلب الصفح من أهل تلك الفتاة وبالتالي التعبير عن مشاعره والبوح بكل ما يحمل في قرارت نفسه من ألم فيقول :

لا صبت عابر وطر بان والسرج صغلان والبندقة بمزج مليان نوصل مكحل هدابه

مولى الغثيث طاح قضبان ع الصدريد كان وعيون دقرات طليان في يدين جابر صوابه

وخدود كيف برق ف أمزان لرشاف مرجان والكدر بزويز مزيان تفاح راوي شرابه

كيف دهلس اليل ودكان نسقط كماجان ع البيت يوقد عصران حافل معرجن اسخابه[2]

أما من الأمثال الشعبية فنجد ما يطرح على ألسنة أبطالها من الأقوال العديدة ومن القبيل استشهاد الراوي بمثل قديم : " العود اللي شرف ما يجي منه مخطاف " و " بالرزانة يتباع

[1] أحمد زغب الفلكلور ص 17

[2] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص 11

الصوف " و " غاصت الدبرة في غارب البعير " هذا من الأمثال المنثورة أما المنظومة فنجد ما يأتي على شكل بيت شعري مثل :

ليا كان م القنطاس حب القاطر ما عاد للنواي وين ينوي

ومن الأغاني الشعبية نجد أغنية عايش التي يصدح بها من أول لقاء له بفجرة فيقول :

أضوى من لفجار خدك يا فجرة.

عيونك جدي الريم في سطوح المجرى .

يا ضواية في فينار يا سود لنظار .

يا شايدة بين لجيال كيما شاه بيا السرايا

زينك غلب كل حكار

حي فوق لخيار

وما فصل الله وما دار

فصل زين الوقايا . [1]

ومن أغاني المناسبات نجد الرواية زاخرة بالعديد من الألوان الغنائية الشعبية فمن الأغاني النسوية في حفل الزفاف :

هذا النهار لمبارك

ولاخر سعيد

واللي حضر محمد

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص 125

وسيدي عبيد

والأغنية التي ترددها الخالة زينة لتعليم الفتاة النخ على انغام الرداسي و باستعمال الطبل و التي تقول :

في الدار بعيد .... حبيب جاني ..... في الدار بعيد حبيب جاني ..... في الدار بعيد دون وجويه ومهاميد ..... حبيب جاني .[1]

ومن أغاني العمل نجد الأغنية التي يرددها العرباوي فوق " الملوح " فيقول :

عييت من المشي والجي ولا من خذالي بخاطر

جرى لي كي عسكر البي عساس بين القناطر [2]

من أشكال التعبير أيضا نجد اللغز أو الحجاية الذي أطلقته خالتي زينة على باكة فتقول : ثلاثة كلاب واحد ينبح ليل ونهار وواحد يتحرك فيشعل النار ولاخر يتنقل من دار لدار .

وهي تقصد هنا بالكلاب الثلاثة الأول الكلب الحقيقي الذي ينبح ليلا ونهارا والثاني هو القرابيلا لأن البدو يطلقون عليها اسم الكلب أما الثالث فهو كلب لعبة الخربقة فالخاسر يقال له العبارة المشهورة أش كلبك مات أي خسرت اللعبة .

ومن بين الفنون والألعاب الشعبية نجد " الخربقة " وهي لعبة ذهنية يمارسها الرجال بصفة كبيرة لتسجية الفراغ إضافة إلى أنها تساعد على تقوية الذاكرة ،وتزيد من الثقة بالنفس حيث يستعرض رجال القرية من خلال هذه اللعبة ذكاء ،وتخطيطا وإستراتيجية تتفاوت من شاب إلى شاب .

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص58.

[2] نفسه،ص5

ومن الفنون التي تميز أهل البدو في الرواية فن الإمساك بالقرابيلا آلة البارود و الحركات المرافقة لها والتي يتقنها البدويون من شبّان نجع أولاد حامد حين يبرز كل شاب قوته وفحولته و أناقته وحركاته الرشيقة في إمساك الغرابيلا ،وإطلاق البارود والتفوق على أقرانه في تلك الحركات مثلما يفعل عايش .

ومن بين المهارات نجد مهارة " القفاية " أو اقتفاء الأثر، وهي الكشف عن الهوية من خلال أثر الأقدام على الرمال الهشة وهو نظام سيميائي وبصري قائم على الاختلاف يشبه البصمة في السبابة من أصبع اليد فلكل شخص علامة يطبعها على الرمل بأرجله مختلف عن الشخص الآخر، وهي من العلامات التمييزية يمنح دلالة على الموهبة والذكاء الفطري ،ودقة الملاحظة تساعد على التكيّف على مظاهر الطبيعة الصحراوية القاسية فنجد في الرواية اعتماد كشف الجُرّة من قبل الحفناوي للحاق بابنته وهذا ما حدث حين اقتفى أثرها، فكشف عن اتجاه آثار الأقدام إلى أن وصل إلى النجع الذي هربت إليه , كما نلاحظ الخبرة الشعبية في التمريض حيث تظهر مهارة نساء البدو في التطبيب من خلال معالجتهم للفتاة فجرة الجريحة من آثار النباتات الشوكيّة العالقة في أرجلها الحافية .

كما نلمح العديد من الفنون الشعبية المتنوعة كالموسيقى والرقص و إطلاق البارود ومن الرقصات الزقايري وهي رقصة يؤديها الرجال على أنغام مميزة عن طريق آلة القصبة واللحن أيضا يسمى الزقايري بالإضافة إلى الضرب على الفرح وهو الطبل الكبير المغلق المستعمل عادة للتوقيع على الرداسي .

من الرقصات أيضا رقصة " النخ " وهي رقصة تؤديها الفتيات عن طريق إرسال شعرهن يمينا وشمالا على أنغام الطبل وترانيم الرداسي ويحيط بهذا النوع من الرقص آهات واستحسان و ابتهاج من المتفرجين من أركان متباعدة في الساحة الواسعة حيث يتوسط الحشدان النسويّ من جهة الشمال قريبا من مدخل البيت , وحشد من الرجال الشبان الذين

يجلسون إلى الجهة المقابلة في الوسط يوجد الفرح ،وهو الطبل الضخم الذي يتقدم إليه الشعراء رويدا رويدا .

تتميز رقصة النخ بمرافقتها لنوع معين من الإنشاد وهو الرداسي حيث يبدأ التوقيع على الطبل وبعدها إنشاد المستهل ويوقع على الطبل رجلان أما الثالث والرابع والخامس فيتجاوبون بترديد اللازمة ،ويرغّبون الفتيات اللاتي يرسلن فروعهن الطويلة ،والمنسدلة على الظهر والكتفين يلبسن الحزام الطويل المزدان بشرائط ملونة بالأبيض والأخضر و الأحمر، ويرسلن شعرهن وفق ضربات الطبل يمينا وشمالا ،والى الخلف والأمام، مع الإيقاع تستحسنه الأصوات الندية الحماسية للمؤديين الذين أكثرهم شباب يقودهم كهل يقترب من الخمسين يذكرهم بأوائل الأبيات ،وعندما يحس الكهول بالتعب يمسك الشباب زمام الإنشاد يرددون اللازمة ويرقبون الفتيات وبالتدريج ،ويتراجع الكهول ثم يتراجع الشباب الواحد تلو الآخر .

وتبدأ الفتن حين يبقى الشاب الذي يرغب في فتاة افتتن بها صامدا رغم التعب ،وكذلك الفتاة في الجهة المقابلة ترقص النخ فلا يجب عليها الاستسلام للسقوط من التعب ،أو الإنهاك فمن يرغب بالزواج بها نظرا لأنّها لا تملك القوة الكافية على التحمل والصبر وهذا يعكس عدم تحملها المسؤولية، و أعباء الزواج ومن هنا يبدأ قانون الفتن كما يسميه البدو حيث أن أحدهما لا يتعب حتى يقدم رمز اعتراف لنظيره إما أن ترمي الفتاة شالها للشاب ثم تنسحب اعترافا له أو يرمي الشاب عمامته للفتاة اعترافا لها .

و الفنون الاستعراضية متعددة في الرواية ،منها أيضا رقصة الزقايري وفنون الفانطازيا على أنغام آلات موسيقية كثيرة منها الزرنة والبندير رفقة إطلاق البارود بآلة الغرابيلا حيث يقوم الشبان بحركات منسقة منسجمة مع الإيقاع وعلى شكل صف واحد يطلقون البارود أو كنترة واحد تلو الآخر في رقصة خاصة بالزرنة تسمى الردس

د.العادات والتقاليد : [1]

تعتبر العادات إلى جنب التقاليد و الأعراف و الآداب العامة وسائل للضبط الاجتماعي و تحقيق الأمن و الرقابة على الفرد و المجتمع لضمان توازنه و استقراره غير أن هناك فروق طفيفة بين كلمة عادة وكلمة تقليد عند بعض العلماء الأنثروبولوجين , فبعضهم يرى أن العادة والتقليد شيء واحد ،وآخر يرى أن هناك فروقا طفيفة بينهما , منها التقليد يسير عادة بأن القيم التي تسنده فقدت مضمونها أي تلك العادة التي يعد من الممكن التعرف على معناها الأصلي و الحقيقي و إنما يمارسها لمجرد المحافظة على انه قد ينسب إلى تلك العادة معنى يختلف عن معناها الحقيقي فالتقليد هو عادة اجتماعية ميتة وبقايا حضارات و رواسب ثقافية . أما العادة فهي نمط سلوكي تعتبره الجماعة صحيحا و طيبا لسبب موافقته ومطابقته للتراث القائم .

نقف في الرواية على مجموعة من العادات الاجتماعية منها عادة زواج القاصر . فمجتمع الرواية يحبذ زواج الفتاة في سن مبكرة جدا , حيث نرى أن الفتاة فجرة لا تكاد تبلغ الثلاث عشرة ربيعا حين أراد والدها تزويجها من ابن عمتها العرباوي ويستند المجتمع في حالة تزويج الفتاة صغيرة إلى عدة أمثال منها المثل المشهور " البنت زريعة إبليس " فهم يرونها سرعان ما تكبر وإذا كبرت فسوف يكون مصيرها العنوسة .

وكذلك عادة تزويج الفتاة من ابن عمّها حيث يرى المجتمع بضرورة الزواج الداخلي لاستمرار العلاقة الأسرية والاقتصادية خاصة فيما يتعلق بالميراث حيث يرون أن ابن عمّ الفتاة أولى بها بنوع من الإلزام، وهذا ما حدث مع فجرة فالفتاة ليست لها سلطة في قبول الزواج ورفضه فالأمر بيدي الكبار من عائلتها .

[1] أحمد زغب الفلكلور ص19.

ومن العادات العادة التي تقضي بعدم خروج الفتاة لوحدها و خاصّة في الليل لما فيه من شبهة لها، وهذا فيه حرص على سلامتها، فلا يجب على الفتاة الذهاب بمفردها بل يجب أن يرافقها طفل من عائلتها فالمهم أن يكون من محارمها حينما لا يكون الأمر مريبا . و إلا كانت عرضة للشبهات و القيل والقال فالمجتمع يحرص على سلامة العرض خصوصا إذا تعلق الأمر بالنساء فهن العرض والشرف الذي تراق على جوانبه الدماء .

من بين التقاليد نجد بعض التقاليد المتعلقة بالزواج والخِطبة مثل تقليد إفراغ قارورة العطر من قبل الرجل على رأس الفتاة التي تعجبه تعبيرا منه على افتتانه بها و الرغبة في خطبتها , وكذلك تقليد الختان في وقت محدد وهي أيام العشر الأوائل من ربيع الأول شهر المولد تبرّكا بمولد النبي – صلى الله عليه وسلم – .

هـ. الطقوس :

تعتبر الطقوس مجموعة من السلوكات والأفعال و الأقوال التي يقوم بها الإنسان بصفة مكررة يتفق عليها المجتمع ذات علاقة بالدين والسحر, والمعتقد الاجتماعي يحدد العرف الاجتماعي ودوافعها و نجد في الرواية عديد الطقوس التي تأخذ أشكالا مختلفة كنحر الأضاحي عند الختان، فنرى الطالب حسين يقوم باستدعاء جميع أهل القرية و إقامة مناسبة ختان ابنه ونحر كبش ،و هو أداء طقوسي فيه نوع من الرواسب الثقافية من الحضارات القديمة التي تؤدي هذا النوع من الطقوس لاسترضاء الآلهة ،وكذلك الأمر في حفلات الزفاف من نحر الأضاحي .

إضافة إلى الرقص بأنواعه فهو يعتبر نوعا من الأفعال الطقوسية التي يكون القصد من خلالها أداء نوع معين من الشعائر وكذلك الترتيل و استعمال النار والصلوات .. الخ فهي تساهم في تقوية المعتقد ذلك أن هذه الأعمال تنظم علاقة الإنسان بالمقدس وكذلك فهي تنمي روح الجماعة وتنمي التلاحم والتآزر، والوحدة بين أفراد المجتمع الواحد ،فنجد أهل

القرية والبدو على السواء يجتمعون في مناسباتهم لتأدية الطقوس وكبار السن الذين يظهرون أكثر حرصا فهم يوجهون الشباب و الصغار إلى كيفية الأداء الصحيح وعلى أكمل وجه لمالها من قيمة و قدسية تمثل الشخصية الاجتماعية ومن الطقوس المرافقة لمناسبات خاصة بالمنطقة نجد الطقوس المتعلقة بمناسبة " تيقطيوط " المعروفة في المنطقة حيث يجتمع أهل النجع من قبيلة أولاد حامد في هذه المناسبة التي تعتبر في الأصل دعاء إلى الله عز وجل أن يحفظ الماشية وينزل الغيث النافع ويحمي الزرع و ينعش الضرع فيفترض أن يكون الدعاء عند اشتداد الأزمة حيث تعود الأسلاف أن يكون " تاقطيوط "مرفوقا بصنع حلوى " الرفيس "من فُتاة الكسرى ودبس التمر حتى تحلو السنة المقبلة و حين يشح الخير يقل السمن والدبس والقمح والشعير تضعف الحفلات التي تكون عادة في الأيام الأولى من فصل الربيع يشترك فيها الرجال ،و الشبان من ناحية ،و النساء والفتيات من جهة أخرى احتفالا بعودة الربيع ،فعندما يكونون في البادية يكثر السّمن واللبن بسبب انتعاش الزرع ،فهم يكثرون الحفلات والابتهالات إلى الله بالحمد والشكر على الخيرات التي أنعم الله بها عليهم ،ويبتهلون أن يحفظ ماشيتهم و أطفالهم و أنفسهم من عوادي الطبيعة التي تلين حينا وتقسو أحيانا .

ولا بد من وفرة الطعام ونوعيته وخاصة الرفيس الخبز الحلو والدسم لأنه مخلوط بالسمن و الدبس يتبعه شيئا من مظاهر الفرح كإنشاد الشعر، وذلك الغناء يكتسي طابعا دينيا ،تذبح فيه الشياه و تقطّع اللحوم ،وتقسّم بين الخيام .و النساء ينشغلن بعجن الدقيق وخلطه بالسمن ،و إنضاجه على صفائح من حديد على نار موقدة بخشب العلندة الغليظ،و يتصدق البدو بعضهم على بعض بالرفيس وبعض الخيرات كالجبن وتترك النساء حصّة الجيران و الأقربين من أهل القرية .

ومن أنواع الطقوس أيضا نجد طقوس العبور مثل الطقوس التي ترافق الاحتفالات كاحتفالات الختان فنرى في الرواية طقوس ختان ابن الطالب حسين حيث يبدأ الاحتفال برفع الرّاية في الصباح وعادة ما تقوم العجائز المسنّات بالإشراف على هذا الاحتفال و الرّاية هي العصا الطويلة التي يربط في طرفها خيطان :أبيض و أحمر و ينشد النسوة على الراية

أهازيج كلها عبارات شعائرية كالصلاة على النبي– صلى الله عليه وسلم – أو أغاني عن الراية من وحي المناسبة فتنشد الأصوات المتثاقلة الجماعية تتمايل بلحن واحد :

هذا النهار لمبارك و لآخر سعيد .

و اللي حضر محمد وسيدي عبيد .

هذا النهار لمبارك يا مومنين .

السيد علي و أولاده لقو فازعين .[1]

ثم تتبعها هالات من الزغاريد لكن الزغاريد أنشط بكثير من الترنيمات الغنائية ربما لأن المزغردات نساء في مقتبل العمر و لا يحفظن الأغاني بينما المغنيّات يكنّ غالبا من العجائز .

وبعد نصب الراية يقمن بتحضير مرق من دشيش القمح أو الشعير، و يوزع منها على الجيران ويقمن حلقة للبنات فيها الأغاني و الرقصات إلى غاية منتصف النهار حين يجتمعن للغذاء و في اليوم الموالي يحضر " الجلاب " الذي هو عبارة عن قلادة من خيطين أحمر وأخضر يربط فيهما عدد من قطع القماش التي تعلق على الخيط على شكل ستة صرر من المواد العطرية المطحونة أما الصرّة السابعة فقطعة قماش حمراء . وبعد صبغ " الجلاب " بالزعفران تربط فيه بعض التمائم للحماية من الحسد والعين .

من طقوس العبور أيضا نلاحظ طقوس الزواج فمن خلال زواج ابن الحفناوي أخ فجرة في بداية الرواية وزواج فجرة في نهايتها فيبدأ الحفل عادة ليلة الثلاثاء و حفل العطرية عشية الأربعاء بالإضافة إلى حفلين أحدهما على نغم الزرنة و الرقص بإطلاق البارود عصر يوم الخميس، وحفل شعر الرداسي ليلة الخميس أي قبيل وبعد الزفاف أما الحفل الكبير فهو الذي يقام عصر الخميس يلعب فيه الرجال بالغرابيلا و يعزفون على الزرنة ويطلقون البارود .

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة، ص57.

أما في حفلة زفاف فجرة فكان النخ ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء والمعروف عند أهل تلك المناطق أن العروس تخرج لرقصة النخْ أما عند الحضر فلا تخرج مطلقا لا لرقصة النخ ولا لحفل الزرنة .و رقصة البارود الرجولية لكن فجرة اخترقت جميع الأعراف الحضرية حين خرجت للنخ و أدت الرقصة أمام عايش حيث كانت متألقة بالحِرام و الحولي الأسود المزدان بالأشرطة الحمراء والخضراء والخلخال الفضي .

و في اليوم الثاني كانت الحفلة باردة حيث كان الجمع قليل من الناس معظمهم من شباب القرية لأن العرس لم يكن في البادية فقد أطلق عايش وعامر وجهين من البارود، و مضيا في حال سبيلهما يتعاونان على حمل القفة وما تبعها من جهاز الربعة الذي يحوي جهاز العروس .

3.المستوى الاقتصادي :

إن النشاط الاقتصادي هو المحدد لنمط الطبيعة والعلاقات البشرية والموطد لها وبفضل هذا الجانب يتقاسم أفراد وأسر الجماعة المحلية النفوذ والمركز الاجتماعي و إن كان للنسب العائلي أهمية في بعض الأحيان يتعرف الباحث على مجالات التعاون في زراعة الأرض، والرعي و تربية الحيوانات، و الإنتاج الحرفي وجمع وتخزين الغلال ،ومن خلال النظرة الكلية و الشاملة للمشاهد ،و السيناريوهات التي تعكس عالما من الصور , كل صورة وكل مشهد تدخل فيه أنساق ثقافية و اجتماعية و اقتصادية ،و ما يتداخل في هذا الأخير من ظواهر وعناصر تمت بعلاقات حميمية في نسق البناء الاجتماعي .

وتشير المعطيات الموجودة في الرواية أن النسق الاقتصادي في قرية " النخلة " منطقة الرواية ومن بعض نجع " أولاد حامد " خاصية رئيسية تتمثل فيما يسمى علم الاقتصاد بالاكتفاء الذاتي أي أن القرية تنتج أغلب ما تحتاج إليه من غذاء وصناعات يدوية قابلة للبيع ،و بالتالي شراء ما تحتاج إليه القرية من الحواضر في حياتها اليومية حيث تتوفر غلّة التمور و الخضر و أشياء كثيرة فيجني القرويون غلّتهم بعد نهاية كل فصل خريف، وتوضع في صناديق وتسوق منتجاتهم رفقة منتجات القرى المجاورة في سوق المدينة وربما التل .

وفي الجهة المقابلة نرى البدو لا يملكون إلا مواشيهم فهم يحصلون على يابس التمور من القرية على بعد كيلومترات فهم يمكثون طيلة الربيع مع أغنامهم وهي تسعى بنفسها لطلب رزقها.

ونجد الشاب عايش يحاول كسب قوت يومه في اقتلاع الفسائل الطفيلية من الغرسات الفتية ،وحفر المطمور ووضع أبعار الإبل داخلها وخلطها مع الرمل، ثم دفنها فهو يحاول كسب بعض النقود من عمله اليدوي بالإضافة إلى عمله الثاني ألا وهو إحياء الحفلات و إطلاق البارود والرقص و الزقايري رفقة أصدقائه،و أقرانه من أهل البدو .

أما الشاب العرباوي فيظهر في الرواية بممارسة عمل شاق وهو رفع الرمل و إبعاده عن أشجار النخيل ليكون واحة دائرية , على ظهر الحمار فينقل الرمل من الواحة إلى رأس الكثيب . وهو المكان المرتفع الذي يرمي به الرمل بعد أن يملأه في " زنبيل " فنجده يلزم نفسه كل يوم برفع مئة " زنبيل " و العدد ضروري لأن المهمة جد شاقة و رفع " الزنبيل " من أسفل إلى أعلى الكثيب ابتدأ من مطلع الفجر إلى بزوغ الشمس .[1]

وكذلك نجد شباب البدو يستغلون إقامتهم غير الطويلة بالقرب من القرية في إيجاد فرص للعمل في المزارع ،أو في جمع الحجارة المخصّصة للبناء أو لإحراق الحجارة الجبسيّة لصنع المسحوق الجبسيّ الصالح للبناء و في المقابل يحصل هؤلاء الشباب على رزق وفير من الحشف اليابس من التمور و الذي يصلح علفا لمواشيهم القريبة ،أو من التمر أو من الخضار أو حتى المقد أحيانا فهم يدركون الحالة المعيشية المزرية التي يمرون بها خاصّة مع شح الطبيعة في هذه السنوات الأخيرة فلم يعد بإمكانهم إخراج الشياه النحيفة إلى السوق التي تربطهم وتوطيدا لها ....)) [2].

[1] أحمد زغب : ليلة هروب فجرة ,ص 52.

2 نفسه : ص 66.

2. المستوى الأنثولوجي :

إن الثقافة هي المصدر الرئيس للشخصيّة تميزها عن غيرها من الشخصيات الاجتماعية الأمر الذي يكسبها معالم، و سمات تنفرد بها عن غيرها بواسطة النشأة و التلقين المستمر من قبل الأسرة، و المدرسة والمجتمع ،و تساعد خصائص الثقافة في التنشئة الاجتماعية بإضفاء ما فيها من قيم وأعراف وعادات وتقاليد، و معتقدات لأن الثقافة مشكّلة و مكونة من أفكار و أعمال و أنشطة المجتمع جيلا وراء جيل .

و تدلنا التغيرات التي تمر بها قرية النخلة أن القرية تمر بمراحل انتقالية غير مستقرة على مستوى الثقافة بمؤشرات عدة ،منها التمرّد على القيم القروية، و البدوية تغير بعض العادات و التقاليد في هروب الفتاة فجرة من منزل والدها وتغييرها للتقاليد مثل تقليد رقصة النخ للعروس الذي لم يكن من تقاليد النساء في قريتها .

وكقاعدة للثقافة نلمح الدين التقليدي و الشعبي القائم على مجموعة من المعتقدات مثل تقديس الأولياء الصالحين و الإيمان بقدراتهم العجيبة على خرق قوانين الطبيعية حيث نجد والدة فجرة تستنجد بالولي الصالح سيدي عبد القادر في حالات العسر ،و تطلب منه أن يهب لمساعدتها و في هذا الأمر ارتباط بالمقدس .فكرة التقديس قيمة إنسانية عامّة فكون أن الولي الصالح ليست قيمة إسلامية إلا في شكلها الظاهر ففي البعد الأنثروبولوجي نجد عبادة الأجداد و الأسلاف .

فقد كانت من القبائل البدائية تعبد الأسلاف وتعتقد أن أرواحهم تستطيع أن تهب و تعين على حاجات الدنيا بطريقة غامضة لا يفهمها إلا العابدون .

كما تدل ظاهرة الاستدلال على الهوية بآثارها الإقدام على الزمن على خبرة شعبية و مهارة كبيرة على التكيّف و التأقلم على مظاهر الطبيعية إضافة إلى موهبة وقدرة مذهلة غير عادية ،و الظاهرة ليست قاصرة على منطقة سوف وحدها ،فقد وجد في خوران ببلاد الشام، و في بني عباس و حيثما وجد الرمل محيط بالبيئة الشعبية الطبيعية تتوصل الخبرة الشعبية إلى

استغلال الإمكانيات المتاحة في هذه البيئة ،و هي إمكانية رسم الرمل صورة_واحة للإقدام الأمر الذي يؤدي حتما إلي التمييز بين صور الإقدام بمجموعة من الملامح التمييزية.

أما في دلالات الطقوس ،و خاصة تلك الطقوس المرافقة لمراحل العبور في دورة الحياة نجد تلك المعبرة عن الاحتفال بختان المولود الذكر، و على الرغم من أن المثل الشعبي يقول (العرس أشهره و الطهور استره) يزعم أن تعليمات الدين تحث على إشهار العرس وستر الطهور إلا أنّه يبقى مجرد مقولة، فالراية تشير بوضوح إلى إشهار الطهور على مستوى الفعل فالأهمية التي يوليها المجتمع للطهور في معظم البلدان الإسلامية تعد أكبر من تلك التي تولاّها الدين نفسه لهذه العملية ،و لعل السبب في ذلك يعود إلى مخلفات ثقافية سابقة للإسلام كما لاحظنا أنّ كثيرا من الممارسات السحريّة...و التعويذات لدفع العين و الأرواح الشريرة كما رحمنا أن الديانة اليهودية تولي اهتماما كبيرا للختان و تعتبره بمثابة طقس عبور الدين.

كما تدل مجموعة الطقوس المتعلقة بحفل الزفاف على مجموعة من المعاني التي ترتبط بالمقدس هذا المضمون الرمزي الذي ...الذاكرة و يشحن الوجدان الجمعي الأمر الذي يكرس و ...التكافل بين أفراد المجتمع هذا ما يضفي نوعا من القداسة حيث نلاحظ اغلب النشاطات ،و الطقوس الجماعية يتخللها سحر المشاركة مثل بخْ الكمون و نثر الملح و إطلاق البخور و طلقات البرود و الرقص لجماعي ...الخ.

وان كانت في ظاهرها تبدو اجتماعية زمنية إلا أن المجتمعات التقليدية تجعل الدين يشمل كل شيء فالاجتماعي مرادف للديني .

أما بعض الألبسة التي يرتديها الأشخاص في الرؤية فلها دلالات أيضا، فيعتبر الحرام الذي تلبسه النساء في وادي سوف الأسود و المزدان بشرائط ملونة بالأبيض و الأخضر و الأحمر فيعتقد أن لون الحرام الأسود يدل على ليل الاستعمار الحالك أمّا الألوان الأحمر والأخضر فيدل الأحمر على النار، و جهنم ،و فيه تشاؤم و خوف منها أما

الأخضر فهو الحياة حيث يرمز النباتات و الأعشاب كالخضرة تفاؤل بالحياة و طول العيش .

ونرى في الرواية مجموعة من الممارسات المرافقة كمناسبات اجتماعية خاصّة بمنطقة البدو مثل مناسبة تقيطيوط التي يقيمها البدو موسميا، و فيها تضرع ودعاء لله عز وجل بأن يديم الخير و العطاء و يتخلل هذه الطقوس نوعا من السحر الايجابي حيث يعد أهل البدو الأكلات الحلوة تفاؤلا بحلاوة السنة القادمة، ومثل هذه الطقوس التي تقام عند بعض الجماعات إظهارا لوحدة الجماعة، و تماسكا و بعثا للحيوية في أفرادها . و تنمية الشعور بروح الجماعة، فكلما زاد عدد المشاركين المقيمين للطقوس كلما قويت روح الجماعة و أسند تماسكها و اعتزّ المنتمون إليها بهذا الانتماء، و ازداد شعورهم بالفخر، و يشعرون بالوحدة كأنهم جسد واحد فيتقلّص شعور الفرد بذاته و يذوب في روح الجماعة و يحس أنّ وجوده بوجود الجماعة .

ويؤكد وجود المعتقدات و الممارسات الطقوسية وجود التدين في حياة الإنسان القروي، أو البدوي و حياة الإنسان الشعبي بصفة عامة ،والتدين في حياة الإنسان في الرواية له شواهده و دلائله من بينها الإكثار من الحديث عن المصير و الموت، و ذكر الله خلال المصاعب و الويلات ،و الضيق المادي والمعنوي كما يعتبر الحديث عن المستقبل و الذي يسبقه على الدوام عبارات إن شاء الله وبإذن الله و الله اعلم ....الخ كما يؤكد ذلك ظاهرة الطالب ،أو شيخ الجامع الذي يدرس الأولاد القرآن ،و يكتب عقد القرآن و مجموعة التعاويذ عن طريق قراءة القرآن عليها للجماعة من الحسد و المرض و الأرواح الشريرة ،و هذه العناصر السالفة تؤكد و تشكل دور المعدات الأساسية في تشكيل الدين و بالتالي الثقافة الشعبية القائمة على التدين و التمسك بالعقيدة .

و إذا انتقلنا إلى مكانة المرأة في الرواية فتعتبر مكانة واهية، و ممتهنة فتعتبر المرأة في المجتمع السوفي بلا قيمة إذ لا يحق لها إبداء رأيها حتى في رغبتها بالزواج من شخص

أو عدمه ،مما جعل الفتاة فجرة تهرب من هذه القيم التي تعتبر خالية من الإنسانية و الرحمة رغم أنّ هذه التصرفات تعتبر منافية للدين إذ يجب أن يؤخذ رأي الفتاة قبل كل شيء .

3. المستوى الأثروبولوجي

أظهرت الدراسة الشاملة للرواية العديد من الجوانب التي تعتبر مهمة التحليل الأنثروبولوجي بالنسبة للاستخلاص من المحاور الأنثروبولوجية من بينها هي الحاجة إلى حفظ النوع حيث نرى أخت الحاج الحفناويّ تحاول من خلال تزويج ابنها من ابنة أخيها الحفاظ على نسل العائلة في الزواج الداخلي ،و بالتالي الحفاظ على تماسك الأسرة و ممتلكاتها، و حفظ النّوع من الزوال بالزواج و الإنجاب بنية الاستمرار.

وهو نفس الأمر الذي يسعى إليه عايش في رغبته بالزواج من الفتاة فجرة رغم كل العراقيل، و الصعوبات التي واجهته على البناء بها ،و الارتباط بها رسميا، ففي ثقافة المجتمع القروي لا يحق للشاب البدوي الزواج من الفتاة القروية، احتقار له و استنقاصا من قيمته كفرد.

لكننا نجده رغم ذلك حقق هدفه وأقام الزواج بها، و أصبحت هناك علاقة مصاهرة ،و قرابة بين القرويين و البدويين.

من بين الرموز الثقافية في الرّواية نجد رمز فجرة هذا الاسم الذي يدل على حلول فجر جديد فيه تمرد على كل القيم و العادات الاجتماعية الظالمة بالإضافة إلى ما يوحيه هذا الاسم من قداسة حيث يعتبر موعد الفجر لأداء الصلوات ،و الذكر و الدعاء في هذا الوقت المبكر مستجابا لما فيه من أهمية للمتعبّد لأنّه يقاوم فيه نفسه و رغبته في النوم لتخصيص هذا الوقت في العبادة لهذا يعتبر و قتا مقدّسا و يعكس رمزية دينية و ارتباطا شديدا بالدين .

وكذلك القيمة الإنسانية و حاجة الإنسان إلى حفظ الذات التي تتمحور حول حاجة الإنسان إلى الغذاء الذي يحميه من الجوع ،و بالتالي الموت ،و التي نجدها في إقامة الحفلات و الزردات ،و الولائم من خلال حفلة الختان و ما يقام حولها من ولائم تطهي فيها جميع

الأطعمة الدسمة إضافة إلي مناسبة تيقطيوط التي يقيمها البدو و الولائم التي تقام في الحفلات و الزفاف .

كما يظهر المقدس و الدنس جليا في ثنائية الزواج و العلاقة الغير شرعية ،و الحلال مقابل الصراع فالمقدس هنا هو الزواج و إضفاء الشرعية على العلاقة بين الرجل والمرأة ،أما المدنس فهو الخروج عن العادات والقيم و مخالفتها عن طريق العلاقات المحرمة، و المقدس غالب ما يكون المنظم للحياة حيث ينظم العلاقة بين العبد وربّه ويشمل الطاهر مقابل النجس والطاعة مقابل المعصية، و يهتك تدنس هذه العلاقة ،فنجد أن والد فجرة يتصرّف في مال و يتجه صوب نجع أولاد حامد آخذا معه الشيخ لعقد قرآن ابنته وإرجاعها و تزويجها لابن أخته العرباوي تجسيدا للمقدّس وهو الزواج، وخوفا من التدنس الذي هو حرام محرم فالثقافة الإسلامية تتجسد المفارقة بين المقدس و التدنس في المقدس الذي يشمل كل ما هو دنيوي يقدسه_لتتحول العادة إلى عبادة و العمل الدنيوي إلى مقدس .

خـــــاتـــــمة

خاتمة

بعد الدراسة التي قمنا بها و التي تدور حول موضوع المقاربة الأثروبولوجية لرواية أحمد زغب " ليلة هروب فجرة "، استطعنا أن نخلص إلى النتائج التالية :

– الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، و يقوم بأعمال معينة كما يدرس الحياة البدائية، و الحياة الحديثة والمعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل.

–تتعدد فروع الأنثروبولوجيا بتعدد جوانب حياة الإنسان؛ فهناك البيولوجية، والاجتماعية، والثقافية .

–تهدف الأنثروبولوجيا إلى وصف مظاهر الحياة البشرية الحضارية وصفا دقيقا بعد دراستها دراسة واقعية، وتستنتج بعد ذلك المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية والحضارية.

–يعتبر التحليل الأثروبولوجي المنهج الذي يسعى إلى دراسة مجرى التطور الإنساني من الناحيتين البيولوجية والثقافية، والقوانين والمبادئ التي تحكم هذا التطور .

–ينقسم التحليل الأنثروبولوجي إلى ثلاثة مستويات: الأول إثنوغرافي يصف مظاهر الحياة وصفا دقيقا للتعرف على الجوانب الاجتماعية و الثقافية، والثاني إثنولوجي يستنبط معلومات عن أصول الثقافات، وانتشارها، وخصائصها النوعية، والثالث أنثروبولوجي يتم فيه جمع

العلامات الأنثروبولوجية، وما يشترك فيه الإنسان عامة من فكرة المقدس والمدنس، وحفظ الذات والنوع وغير ذلك.

-تعتبر رواية " ليلة هروب فجرة " لأحمد زغب خطوة مهمة باتجاه وضع علامات على تاريخ الحياة في المجتمع الجزائري عامة، والسوفي خاصة، تاريخ يقوم على الحدث و الفكرة و المكانة والعقيدة.

-يتضح من خلال العمران في المنطقة الجانب التقليدي البسيط، وكذلك بالنسبة للباس مع ملامح التحضر والتطور .

-يظهر من خلال النظام الاجتماعي صفة الانغلاق في نظام الزواج، والتماسك في العلاقات القرابية .

-يظهر التمسك بالدين جليا في الرواية من خلال الأدعية، و البسملة، والاستعانة بالشيخ الولي، وجميع الأعمال الحياتية.

-من بين المعتقدات السائدة بين الأفراد في الرواية الاعتقاد بكرامة الأولياء.

-تتسم الرواية بالثراء في مجال الأدب و الفنون وخاصة الجانب الشعري و الغنائي، وكذلك الفنون الاستعراضية مثل الرقص، والعزف على مختلف الآلات الموسيقية التقليدية.

-تحيلنا مظاهر التكافل الاجتماعي بين أفراد ومجتمع الرواية خاصة البدو إلى التماسك الكبير، واللحمة بين الأفراد.

– الاحترام الكبير للقيم والمبادئ من قبل غالبية المجتمع وخاصة من قبل فئة كبار السن.

–نجد في الرواية مجموعة من القيم والأعراف ومن أبرزها البطولة و الشهامة .

–تتكرر ظواهر غير منطقية في الرواية مثل ظاهرة خطف الفتيات، واللمز بالألقاب، والعصبية القبلية، والتمييز العنصري.

–تظهر بعض الطقوس في الرواية جانبا مهما من جوانب الحياة الثقافية للقرية مثل طقوس العبور بالنسبة للزواج، والختان .

–تشير المعطيات الاقتصادية في الرواية إلى جانب من الاكتفاء الذاتي حيث يعتمد أهل القرية على ما يجنون من غلة التمور، مع ممارسة بعض الأنشطة التجارية.

–تدلنا المظاهر الثقافية في الرواية إلى وجود تغير ثقافي و اجتماعي حسب الجانب الأثنولوجي، وهذا مما يوحي بأن القرية تمر بمرحلة انتقالية على المستوى الثقافي .

–توحي مختلف القيم والمعتقدات والتقاليد بتحكم الدين والمعتقد في مختلف جوانب الحياة في مجتمع الرواية .

–تدل المعاملات الأسرية والاجتماعية في الرواية على مكانة المرأة المتدنية، وقيمتها المهتزة في المجتمع.

خاتمة

-تبين الدراسة الشاملة لجميع الجوانب في الرواية عدة محطات تعتبر نتائج للدراسة الأنثروبولوجية منها التشبث بحفظ النوع من خلال الزواج، وحفظ الذات من خلال إقامة الحفلات، وإعداد وجبات الطعام والولائم.

قائمة المصادر والمراجع

1)احمد أبو زيد البناء الاجتماعي مدخل الدراسة المجتمع الفحوصات ت.ط5 1976

2)احمد ابو هلال مقدسة في الأنتروبولوجيا التربوية المطابع التعاونية الأردن 1974

3)احمد خشاب دراسات أنثروبولوجية ط.ح مكتبة لأنجلو البصرية القاهرة 1964

4)أحمد زغب، رواية ليلة هروب فجرة، دار سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2017

5)بشير مفتي : بنية الحبكة في الرواية زاوية لعبة السعادة أنموذجا , مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأداب , كلية الأداب واللغات ,جامعة أعلي محند أولجام . البويرة .2018/2017.ص10.

6)جابر عصفور: زمن الرواية، مطابع الهيئة المصرية العامة، دار المعارف للطباعة والنشر، ط1 ،1999 ،ص 235.

7)جاسم الموسوي : الرواية العربية , النشأة والتحول دار الآداب ,بيروت , ط 2 , 1988.

8)جمال معتوق الأنثروبولوجيا الفروع و المداخل النظرية ،دار كتاب الحديث القاهرة ط206.

9)حسين فهميم قصة الأنتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان عالم المعرفة الكويت 1986 .

10) حليمة زغب والبشير مناعي : الخطاب الثوري في الرواية العربية المعاصرة , مذكرة معدة لنيل شهادة الماستر .الاداب واللغة العربية كلية الاداب واللغات جامعة حمة لخضر الوادي .2017/2016.

11) حمتين فهيم قصة الأنتروبولوجيا

12) ساكر محمد : العادات والتقاليد في وادي سوف في الفترة مابين 1945 الى 1962 , مدرية الثقافة لولاية الوادي – الجزائر 2016م

13) سامية محمد جابر منهجيات البحث الاجتماعي ،دار المعرفة الجامعية، مصر 2013.

14) سليم شاعر قاموس الأنتروبولوجيا جامعة الكويت 1988 .

15) سمير الفيصل : الرواية العربية البناء والرؤية منشورات اتحاد الكتاب العرب ,دمشق ,ط 2003

16) شفيع السيد: اتجاهات الرواية العربية، كلية دار العلوم ،ط1 ،1997 .

17) صدوق نور الدين : البداية في النص الروائي .دار الحوار للنشر والتوزيع .سوريا ,ط1 , 1994. ص35.

18) صلح فصل منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار الكتاب اللبناني بيروت 2003

19) طه الوادي .دراسات في النقد والرواية ,دار المعارف القاهرة ,ط2. 1994

20) عبد المالك مرتاض , في نظرية الرّواية , بحث في تقنيات السرد , سلسلة عالم المعارف . الكويت ,1998

21) عز الدين دياب التحليل النثروبولوجيه للأدب اتحاد العتاب العرب دمشق 2010

22) عيسى السماش .مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا اتحاد كتاب العرب دمشق 2004

23) فاطمة موسى بين الأدبيين العربي والانجليزي , مكتبة الأنجلو المصريّة , 1965

24) لورانس بلوك : كتابة الرواية من الحبكة إلى الطباعة , ت.ر, صبري محمد حسن . دار الجمهورية للصحافة القاهرة .2009,

25) محمد اسماعيل قياري الأنتروبولوجيا الثقافة منشأة المعارف الأسكندرية 1971 .

26) محمد الصاحي مرأي وأخرون , لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها , دراسات الأدب المعاصر السنة الرابعة 1991,

27) محمد بوعزة: تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الرباط 2010 ..

28) محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر ،دار المعرفة للنشر، الأزرايطة، قناة السويس، ، 2005

29) محمد مؤنس، الحضارة دراسة وأصول وعوامل قيامها وتدهورها، عالم المعرفة، الكويت، 1978

30) معجم اللغة العربية ,معجم الوسيط ,مكتبة الشروق الدولية جمهورية مصر العربية ,ط4, 2004.

31) يحي مرسي و عبد بدر أصول علم الإنسان دار الوفاء للطباعة و النشر الإسكندرية 2007م ط1.

www khammat – 2abdellah.ant.dz./lives/Narration.com32)

الفهـرس

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

مقدمـــــــــة 7

مدخل: تحديد المصطلحات والمفاهيم

أولا: الأنثربولوجيا 6

1.المفهوم 6

2. الفروع 8

3. الأهداف 10

4.الاتجاهات 12

ثانيا: التحليل الأنثربولوجي 16

1مفهومه 16

2.مستوياته 17

ثالثا:علاقة الأنثروبولوجيا بالأدب 17

الفصل الأول: فن الرواية ـ تحديدات نظرية ـ

1. المفهوم 22

2. النشأة 23

3. الأنواع 25

4. العناصر 28

الفصل الثاني_التحليل الأنثروبولوجي لرواية

1. التعريف بالكاتب 38

2.ملخص الرواية 40

3.تحليل الرواية 46

خـــــاتـــــمة 39

قائمة المصادر والمراجع 39

الفهـرس 39

تم بحمد الله